المقدمات والربوبية

برنامج التأصيل العقدي

الجمعيه العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والمذاهب

إعداد وجمع

أ.د سعود بن عبد العزيز خلف الخلف

١٤٤٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فهذه محاضرات وفق المنهج المقرر في برنامج التأصيل العقدي لمادة "المقدمات والربوبية" أسأل الله أن ينفع بها وأن يتقبل العمل إنه جواد كريم:

١-معنى العقيدة لغة واصطلاحاً

العقيدة لغة: من عقد: قال ابن فارس : العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها. وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه. واعتقد الشيء صلب. ومنه :عَقَدْتُ الحبلَ والبيعَ والعهدَ، فانعَقَدَ(١).

والمراد بالعقيدة في الاصطلاح: هي الأمور التي يجب على المسلم اعتقادها بقلبه مما يتعلق بالله ﷻ وأركان الإيمان الأخرى ومسائل تلحق بذلك مثل مسائل الإيمان والخلافة ونحوها.

٢- التعريف بعلم العقيدة وموضوعه وأسماؤه وفضله.

أ-التعريف بعلم العقيدة وموضوعه:

علم العقيدة هو: علم يبحث في مسائل العقيدة ودلائلها وكذلك في الرد على أهل البدع سواء كانت العلمية أو العملية

وبيان ذلك أن من يدرس علم العقيدة عليه أن يعرف ان موضوعاته:

أولا :المسائل :

والمقصود بالمسائل هي التي تبحث في هذا العلم وتدرس مثل مسائل الإيمان بالله من ناحية توحيد الله ﷻ في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، ومايتعلق بكل نوع من أنواع هذا التوحيد من ناحية حدوده وضوابطه ومسائله والعلاقة بين هذه الأنواع الثلاثة، وهذا باب واسع جدا لاتكفي سنة دراسية كاملة لشرحه.

وكذلك من مسائل العقيدة معرفة المسائل المتعلقة بالإيمان بالملائكة عليهم السلام من ناحية صفاتهم واعمالهم المتعلقة بالإنسان أو المتعلقة بأعمال أخرى يكلفهم الله ﷻ بها.

ومن مسائل الاعتقاد مايتعلق بالإيمان بالكتب المنزلة من الله ﷻ على أنبيائه ورسله وواقع تلك الكتب بعد بعثة النبي ﷺ ووجودها من عدمه وعلاقتنا بها من ناحية المتابعة، ومن ذلك أيضا مايتعلق بالقرآن الكريم من ناحية تنزيله وأنه كلام الله ﷻ ووجوب اتباعه واعتقاد انه محفوظ لم يتطرق إليه نقص ولازيادة ولا تحريف أو تغيير.

ومن مسائل الاعتقاد مايتعلق بالإيمان بالرسل عليهم السلام بأعيانهم من ناحية ثبوت

---

(١)مقاييس اللغة (٤/ ٨٦) وانظر : لسان العرب (٣٠٣٢/٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥١٠).

رسالتهم أو نبوتهم وكتبهم وإلى من أرسلوا، ومجمل دعوتهم وما كان من أقوامهم تجاه دعوتهم من ناحية القبول أو الرد.

ومن ذلك أيضا الايمان بنبينا مُحَمَّد ﷺ ووجوب اتباعه والاقرار بخصائصه وتفضيله ومكانته من ربه، ومعرفة مايجب له على أمته من الحقوق .

ومن مسائل الاعتقاد الايمان باليوم الآخر وأنه قرين الإيمان بالله ﷻ والإيمان بما يكون من الأحداث والأهوال التي تكون على البشر من وقت خروج الروح إلى دخول الجنة والنار.

ومن مسائل الاعتقاد الإيمان بالقدر ومعرفة مراتبة والمسائل المتعلقة بها.

كما من مسائل الاعتقاد المسائل المتعلقة بالإيمان من ناحية تعريفه وزيادته ونقصانه والاستثناء فيه والعلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام وكذلك مسمى مرتكب الكبيرة في الدنيا وحكمه في الآخرة.

ومن المسائل المرتبطة بالاعتقاد مسائل الصحابة رضوان الله عليهم من ناحية وجوب محبتهم والترضي عنهم والإيمان برضى الله عنهم ومعرفة الفضل للمتقدمين منهم وتفضيلهم حسب مراتبهم في الفضل والقرب من رسول الله ﷺ وعدم ذكرهم إلا بالجميل والسكوت عما شجر بينهم واعتقاد أنهم كانوا مجتهدين فيما وقع بينهم وتحريم سب أحد منهم أو الطعن فيه أو الاستهزاء والتنقص له .

ومن مسائل الاعتقاد مسائل الإمامة ومعرفة مايتعلق بها من ناحية وجوب تعيين إمام للناس ووجوب مبايعته ووجوب الوفاء ببيعته والنصح له والدعاء له وتحريم الخروج عليه بالقول أو الفعل.

هذه أهم المسائل الكبرى المتعلقة بالإعتقاد.

ثانيا: الدلائل:

المقصود بالدلائل هو الأدلة على المسائل التي سبق ذكرها إجمالا في المجمل وتفصيلا للمفصل والأدلة هي الكتاب وما صح من السنة.

كما ومن الأدلة ما أجمع عليه السلف الصالح وما قالوا به وما كان لهم من منهج وموقف تجاه مسألة من المسائل أو حكم من الأحكام فكل ذلك داخل في أدلة مسائل الاعتقاد

.

كما يلحق بالدلائل دراسة مصادر التلقي في الاعتقاد وأوجه التعامل السلفي مع كل دليل من ناحية الأخذ بالظواهر والجمع بين الأدلة والأخذ بكل ماصح من الأحاديث متواتر أو آحاد.

كما يتبع ذلك الكلام على دليل الفطرة ودليل العقل وحدود كل منهما.

ثالثاً: الرد على أهل البدع العلمية والعملية:

ماسبق ذكره من الإشارة إلى مسائل الإعتقاد كان في كل مسألة منها مخالفون من أهل البدع، خالفوا الكتاب والسنة أوخالفوا منهج السلف الصالح وحماية للإعتقاد الصحيح ودفاعا عنه أدرج أهل العلم الرد على أهل البدع في علم العقيدة وسواء كانت البدعة علمية كالذين خالفوا في مسائل الاعتقاد مثل الصفات أو الألوهية أو الربوبية أو المسائل المتعلقة بالرسل أو اليوم الآخر أو القدر. أو مسائل الايمان أو الصحابة أو الإمامة .

او المسائل العملية كالمسائل المتعلقة ببدع القبور أو الدعاء أو الاستغاثة بغير الله أو البدع المتعلقة بالأذكار أو الصلاة ونحو ذلك.

ومن المسائل المتعلقة بالرد على أهل البدع بيان مصادرهم في التلقي وبيان بطلانها، وكذلك الرد عليهم فيما يستدلون به من الأدلة التي لاتدل على باطلهم إن كانت صحيحة، أو تدل على باطلهم لكنها لم تثبت من ناحية ضعفها أو وضعها.

هذا إجمالا تعريف علم العقيد مع شيء من التفصيل في المسائل والدلائل.

وهنا نشير إلى بيان فائدة معرفة موضوع علم العقيدة وفق منهج السلف الصالح للمسلم.

وذلك ليدرك المسلم أن القرآن والسنة قد حويا علم الدين كله مسائل ودلائل وأن كل مسألة ليست من مسائل الكتاب والسنة أو دليل ليس من الأدلة الشرعية فإنها مسألة بدعية ودليل باطل .

فمن هنا نستطيع أن نميز المسائل والدلائل الصحيحة السنية من المسائل الباطلة البدعية لأن كثيرا من أهل الكلام ادخلوا مسائل كثيرة ضمن مسائل الاعتقاد وضمن مسائل

الدين وأقاموا عليها أدلة باطلة فلايصح اعتبارها من الاعتقاد ولا من أصول الدين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين من المسائل والدلائل: التي تستحق أن تكون أصول الدين. وأما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل فليس ذلك من أصول الدين؛ وإن أدخله فيه مثل " المسائل " والدلائل " الفاسدة: مثل نفي الصفات والقدر ونحو ذلك من المسائل. ومثل " الاستدلال " على حدوث العالم بحدوث " الأعراض " التي هي صفات الأجسام القائمة بها: إما الأكوان وإما غيرها وتقرير المقدمات التي يحتاج إليها هذا الدليل: من إثبات " الأعراض " التي هي الصفات ....وهو مبني على مقدمتين: إحداهما: أن الجسم لا يخلو عن " الأعراض " التي هي الصفات .

والثانية أن ما لا يخلو عن " الصفات " التي هي الأعراض فهو محدث لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض كالأكوان وما لا يخلو عن جنس الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا تتناهى. فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن مُحَمَّدا لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه ولهذا قد اعترف حذاق " أهل الكلام " كالأشعري وغيره بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ولا سلف الأمة وأئمتها وذكروا أنها محرمة عندهم"[١].

ونستطيع بسهولة أن نرى ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بالنظر إلى موضوعات كتب العقيدة عند المتكلمين

فقالوا : حدوث العالم ودللوا عليه بأدلة فلسفية من ذلك قول الجويني في لمع الأدلة :

"فكذلك العالم بجواهره وأعراضه وأجزائه وأبعاضه دلالة دالة على وجود الرب سبحانه وتعالى

فإن قيل ما حد الجوهر وما حقيقة العرض

قلنا الجوهر قد ذكرت له حدودا شتى غير أنا نقتصر على ثلاثة منها فنقول الجوهر المتحيز

---

(١)مجموع الفتاوى (٣/ ٣٠٣)

وقيل الجوهر ماله حجم

وقيل الجوهر ما يقبل العرض

فأما العرض فقد قيل ما يقوم بالجوهر

وقيل ما يطرأ على الجواهر كالألوان والطعوم والروائح والعلوم والقدر والإرادات الحادثة وأضدادها والحياة والموت

وقيل العرض ما يستحيل عليه البقاء"[١]

ولما تكلم عبدالجبار المعتزلي على إثبات وجود الله ﷻ دلل على ذلك بإثبات الأعراض ثم إثبات حدوثها ثم إثبات أنها تحتاج إلى محدث ثم إثبات حدوث الأجسام ثم إن في الأجسام معاني هي الاجتماع الافتراق والحركة والسكون وهي مايسمى الأكوان[٢] .

وهكذا استمر قرابة ٢٨ ص ليقرر هذا الدليل الذي ما أنزل الله به من سلطان.

ب- أسماء علم العقيدة:

هذا العلم وهو علم العقيدة أطلق عليه أسماء عدة

١- العقيدة

إطلاق اسم العقيدة على هذا العلم ورد عن السلف ومن ذلك.

قول الطحاوي رحمه الله (ت٣١٠هـ) في بداية عقيدته :"هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله مُحَمَّد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين"[٣]

وسمى ابوبكر الاسماعيلي رحمه الله (ت٣٧١هـ) كتابه "اعتقاد أهل السنة"

وسمى أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت: ٤١٨هـ) كتابه "شرح

---

(١)لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة للجويني(ص: ٨٧)

(٢)شرح الاصول الخمسة عبدالجبار المعتزلي (ص:٩٢-١٢٠)

(٣)متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٣١)

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"

وقال في مقدمته:

فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين.وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول:كتاب الله الحق المبين،ثم قول رسول الله ﷺ ، وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ،ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون"[١].

وكتب شيخ الاسلام أبو اسماعيل الصابوني (ت٤٤٩)كتابه "عقيدة السلف وأصحاب الحديث"

وسمى ابوبكر البيهقي رحمه الله (ت٤٥٨هـ)كتابه" الاعتقاد " وقال في مقدمته: "فأردت والمشيئة لله تعالى أن أجمع كتابا يشتمل على بيان ما يجب على المكلف اعتقاده والاعتراف به مع الإشارة إلى أطراف أدلته على طريق الاختصار، وما ينبغي أن يكون شعاره على سبيل الإيجاز"[٢]

وكذلك سمى ابن أبي يعلى رحمه الله (ت٥٢٦هـ) كتابه "الاعتقاد" وقال في مقدمته : "فإنك سألت عن مذهبي وعقدي، وما أدين به لربي عز وجل، لتتبعه فتفوز به من البدع والأهواء المضلة، وتستوجب من الله عز وجل المنازل العلية"[٣]

٢-أصول الدين

أصول الدين من المسميات لهذا العلم.

وأصول الدين مسمى منطبق تماما على هذا العلم لأنه علم يتعلق في اهم أبوابه بأركان الإيمان الستة لذا من قال أصول الدين فهو يقصد مايقوم عليه أصول الدين من المسائل

---

(١)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧)

(٢)الاعتقاد للبيهقي (ص: ٣٣)

(٣)الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٢٣)

والدلائل ، وقد صنف مجموعة من أهل العلم باسم اصول الدين ونص بعضهم على وصف هذا العلم باسم أصول الدين ومن ذلك

أبو الحسن علي بن إسماعيل لأشعري (ت: ٣٢٤هـ)سمى كتابه الذي كتبه وفق عقيدة الإمام أحمد بن حنبل "الإبانة عن أصول الديانة"

وقال شيخ الاسلام أبو اسماعيل الصابوني (ت٤٤٩هـ)في مقدمة كتابه "عقيدة السلف وأصحاب الحديث"سألني إخواني في الدين أن اجمع لهم فصولا في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين" [١].

ومن الكتب في ذلك ماسمى عبيد الله بن مُحَّد بن بطة العكبري رحمه الله (ت ٣٨٧هـ) كتابه "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة"

٣- التوحيد

التوحيد مسمى أطلق على هذا العلم وهذا مسمى ينطبق على الجزء الأهم من علم العقيدة وهو المتعلق بالإيمان بالله فهو اعظم أركان الملة ولايصح لأحد دين ولا ملة مالم يصح له هذا الجزء العظيم من العقيدة، لذا اطلق مجموعة من أهل العلم مسمى التوحيد على كتبهم في العقيدة وهو من إطلاق الجزء على الكل ومن ذلك :

أن مُحَّد بن إسماعيل البخاري رحمه الله (ت:٢٥٦هـ) جعل آخر كتاب في صحيحه "كتاب التوحيد" وضمنه مسائل العقيدة.

الدارمي أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠هـ)

وسمى كتابه "نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد"

أبو بكر مُحَّد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت: ٣١١هـ)

---

(١)عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٢)

له كتاب مشهور سماه : "كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل"

ابن منده مُحَّد بن اسحاق ابن منده رحمه الله (ت ٣٩٥هـ)

له كتاب سماه " كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الإتفاق والتفرد"

٤-السنة

السنة من أسماء هذا العلم وهو اسم ينطبق على هذا العلم تمام الانطباق إذ المقصود بالسنة هنا الطريقة والمنهج الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم في الاعتقاد، وقد أطلق مجموعة من اهل العلم هذا المسمى على هذا العلم ومن ذلك:

إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (ت٢٤١هـ).

في كتابه : (أصول السنة)

وقال في مقدمته"أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بهم، وترك البدع؛ وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين".

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (ت: ٢٦٤هـ)

له كتاب سماه "شرح السنة"

عبد الله بن أحمد بن مُحَّد بن حنبل الشيبانيّ (ت: ٢٩٠هـ)

له كتاب "السنة"

أبو عبد الله مُحَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت: ٢٩٤هـ)

له كتاب " السنة"

أبو بكر أحمد بن مُحَّد بن هارون الخَلَّال البغدادي الحنبلي (ت ٣١١هـ)

له كتاب باسم "السنة"

أبو مُحَّد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (ت: ٣٢٩هـ)

له كتاب باسم " شرح السنة"

٥-الإيمان:

الإيمان مسمى اطلق أيضا على هذا العلم واسم الإيمان أعم من علم العقيدة لأنه يتعلق بجميع الطاعات الواجبة والمندوبه، والعقيدة أشرف علومه وواجباته ،وأول من سماه بذلك نبينا مُحَمَّد ﷺ لما سئل عن الإيمان في حديث جبريل قال : ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله»[1]

وقد جعل النووي أول كتاب في صحيح مسلم "كتاب الإيمان" وضمنه مسائل الإعتقاد.

وسمى أبو عبد الله الحَلِيمي (ت: ٤٠٣ هـ) كتابه "المنهاج في شعب الإيمان" وضمنه مسائل الاعتقاد مع بقية شعب الإيمان ، وكذلك فعل تلميذه البيهقي رحمه الله (ت٤٥٨هـ)في كتابه الموسوعي "شعب الإيمان.

هذ أهم المسميات لهذا العلم.

وهناك مسميات أطلقت عليه أخرى لكن استخدامها قليل مثل :

الشريعة: وسماه بذلك أبو بكر مُحَمَّد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ) في كتابه "الشريعة"

الفقه الأكبر: وهو اسم لكتاب منسوب لأبي حنيفة النعمان (ت: ١٥٠هـ) وهو في العقيدة.

ج-فضل علم العقيدة.

يتبين فضل علم العقيدة بمعرفة متعلقه وأثره على العبد وذلك من عدة نواح :

١-أنه متعلق بمعرفة الله عز وجل وهو أشرف معلوم.

فإن مما لايخفى أن العلم يشرف بشرف المعلوم وإن أشرف معلوم هو الله ﷻ فلا يرقى إلى مستوى معرفته شيء ولا إلى العلم به شيء سبحانه، بل إن الله ﷻ قال منوها بعظمة التعرف على جلاله وكماله وعظمته{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

---

[1] صحيح مسلم (١/ ٤٠)

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الطلاق: ١٢]

وأمر الله نبيه ﷺ أن يعلم أول مايعلم توحيده فقال {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } [محمد: ١٩]

وكانت أول آية في القرآن نزلت هي قوله تعالى {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١ – ٥]

فكان بداية نزول القرآن وأول آية نزلت منه تتضمن التعريف به سبحانه.

فهذه مزكيات لهذا العلم الذي لايعدله علم، فيكفي ان من أعظم علومه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية فهذه علوم عظيمة لا يعدلها علم من ناحية سعادة النفس وتزكيتها وطهارتها ومحبتها لله ﷻ وتعلق القلوب به وأداء الواجب له وإيصال العلم به للبشر الآخرين؛ لتتحقق لهم السعادة المرجوة في الدنيا والآخرة.قال ابن القيم رحمه الله "

ولما كان العلم للعمل قرينا وشافعا، وشرفه لشرف معلومه تابعا، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد، وأنفعها على أحكام أفعال العبيد "[١]

وقال ابن أبي العز الحنفي :" فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: " الفقه الأكبر " وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله. ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه"[٢].

٢–أنه لانجاة لأحد إلا به فالتوحيد هو المنجي من عذاب الله ﷻ .

---

(١)إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤)

(٢)شرح الطحاوية (١/ ٥)

إن مما يبين فضل هذا العلم ومكانته أن به يميز الإنسان التوحيد وهو شهادة أن لاإله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله فهي شهادة الفرقان بين الكفر والايمان وهي جواز المرور إلى الجنة والرضوان قال عليه الصلاة والسلام

كما في حديث أبي هريرة ﷺ ، عن رسول الله ﷺ ، قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[1]

فهذا في أنها الفارق بين الإسلام والكفر.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[2]

وهذا في بيان أنها أعلى الإيمان وأرفع درجاته

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه عند الموت: " قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، فأبى "، فأنزل الله: {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص: ٥٦] الآية[3]

وهذا في بيان أن الكافر إذا قالها عند الموت قبل أن يغرغر فهي له نجاة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ «يا أبا هريرة» وأعطاني نعليه، قال: «اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة»[4]

وهذا في بيان فضلها وأن من مات عليها مستيقناً بها قلبه دخل الجنة.

وعن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: " يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من

---

(١)صحيح مسلم (١/ ٥٢)

(٢)صحيح مسلم (١/ ٦٣)

(٣)صحيح مسلم (١/ ٥٥)

(٤)صحيح مسلم (١/ ٦٠)

الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة "[1].

وهذا في بيان أن من مات على التوحيد ومات على لإله إلا الله فسيخرج من النار إن دخلها ولو لم يأت من الخير إلا وزن الذرة أو الشعيرة.

فلا يعدل هذه الفضائل حقاً فضائل.

٣-أن ضد التوحيد الشرك وهو أخطر ذنب يعصى الله ﷻ به ولايمكن أن يقبل معه عمل ولاترفع لصاحبه حسنة؛ فهذا العلم به يميز المسلم أعظم الذنوب وأخطرها وأقبحها وأشنعها ألا وهو الشرك الذي لايغفره الله ﷻ ولايرحم صاحبه يوم القيامة قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨]

وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١١٦]

وقال تعالى {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]

وهو أعظم الظلم قال تعالى {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]

٤-أن معرفة العقيدة تجعل العبد يستقيم على السنة، والسنة هي النجاة والجهل بها يفضي إلى الوقوع في البدعة والبدعة ضلالة وشر ، والسنة من خير ما اكتسبت النفوس بعد التوحيد فمن خلاله يتعرف المسلم على المنهج الذي كان عليه النبي ﷺ وهو الأمر وهو من اعظم ما أُمر الناس باتباعه ولزومه ,وهو لزوم قول النبي ﷺ ونهجه قال تعالى {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر: ٧]

وقال تعالى {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: ٥٢]

---

[1] صحيح مسلم (١/ ١٨٢)

وقال تعالى {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا } [النساء: ٨٠]

وقال تعالى {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥]

وعن العرباض بن سارية، قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أُمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»(١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢)

وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب: " أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك – بإذن الله – عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها»(٣)

---

(١)سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ١٧٤)وقال الحاكم :هذا حديث صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي.

(٢)صحيح البخاري (٧/ ٢)

(٣)سنن أبي داود (٤/ ٢٠٣)

فمعرفة السنة والسلامة من البدعة هي الخير كله ولايستطيعه المسلم إلا بمعرفة العقيدة الصحيحة.

٣-علاقة علم العقيدة بالعلوم الأخرى.

علم العقيدة هو أصل العلوم الشرعية لارتباطه بأركان الإيمان ومصادر التلقي فالعلوم الأخرى ترتبط به ارتباطاً وثيقاً من عدة نواح :

أ-كل الواجبات والمندوبات تعود إلى الإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ وكذلك تجنب المحرمات والمكروهات يعود لذلك الركنين العظيمين كما أن الإيمان باليوم الآخر هو الدافع والحافز للإحسان في العمل وتجنب المحرمات والمكروهات ، وكل هذه من علوم العقيدة.

ب- أن النية أصل لتصحيح الأعمال وأهم نية يجب على المسلم استحضارها في كل عبادة وعمل صالح هي الإخلاص لله ﷻ كما قال تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: ٥]

ج- أن قصد غير وجه الله ﷻ في أي عبادة يوقع الإنسان في الشرك الأكبر أو الأصغر.

د- ترتبط صحة الأعمال بكونها مما أمر الله ﷻ به أو أمر به رسوله ﷺ وأن يكون بعد هذا وفق منهج السلف الصالح وإلا دخل المسلم في الابتداع في الدين.

هـ- أن مسائل الإيمان والكفر يرتبط بها علاقة المسلم بإخوانه المسلمين، ويرتبط بها علاقة المسلم بغير المسلمين.

و-من ضمن مسائل الاعتقاد مسائل الإمامة -كماسبق ذكرها- ومعرفة هذا العلم يحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم ويؤدي الالتزام بالعقيدة في هذا الباب لحلول الأمن في المجتمع والذي يترتب عليه خيور عظيمة ، وكذلك فيه التأكيد على وجوب طاعة ولاة الأمر ويرتبط به وجود الانسجام في المجتمع ووحدته بتوحيد القيادة والطاعة، وفيه أيضاً تحريم الخروج على ولاة الأمر ؛ وهو أمر إذا وجد فإنه يترتب عليه الإخلال بالأمن ووقوع الشر بما لايعلم مداه إلا الله ﷻ.

فعلم العقيدة مرتبط بنواحي عديدة من العلوم الأخرى. بل وحياة الفرد والمجتمع وسعادته في الدنيا والأخرى.

٤-بيان وحدة دين الرسل وتنوع شرائعهم.

إن الرسل عليهم السلام قد أرسلهم الله ﷻ برسالة واحدة وهي التوحيد قال تعالى قال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُول إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاْعْبُدون} [الأنبياء٢٥]

وقال عز وجل {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِ أُمَّة رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت} [النحل ١٦]

وأن دينهم واحد وهو الإسلام قال عز وجل عن نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِيَتِنَا أُمَّة مُسْلِمَة لَكَ} [البقره ١٢٨] .

وقال عن نبيه إبراهيم ويعقوب عليهما السلام {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِ الْعَالَمِيَن وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ياَ بني إِنَّ الله اصْطَفَى لَكُمُ الدِينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُون} [البقرة ١٣٤]

وقال عز وجل عن نبيه موسى عليه السلام{وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُم بِالله فَعَلَيْهِ تَوَكَلُوا إِنْ كُنْتُم مُسْلِمِين} [يونس ٨٤]

وقال سحرة فرعون بعد إيمانهم: {ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين} [الأعراف ١٢٦] .

وقال الحواريون {قَالَ الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله آمَنَّا بِالله وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُون} . [آل عمران٥٢] .

فالأنبياء جاؤا بدين واحد هو الإسلام ليس اليهودية ولا النصرانية كما قال تعالى {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: ٦٧] فلم يأت موسى و عيسى عليهما السلام إلا بالإسلام .

ويجب أن يتنبه إلى أن الاسلام المقصود به هنا هو الاستسلام لله بالطاعة والخلوص من الشرك وليس الإسلام الذي جاء به النبي مُحَمَّد ﷺ بشرائعه وإنما المقصود الاسلام بمعناه العام وهو الذي قال الله ﷻ {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران: ١٩]

قال قتادة رحمه الله في تفسير الآية "والإسلام: شهادة أنّ لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودلّ عليه أولياءه، لا يقبل غيرَه ولا يجزى إلا به".[١]

وقال ابن جرير رحمه الله في تفسير الإسلام في الآية هو:" الطاعةُ له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذّلة، وانقيادُها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذلُّلها له بذلك، من غير استكبار عليه، ولا انحراف عنه، دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودة والألوهة."[٢]

أما الشرائع فإن الأنبياء متفاوتون فيها فكل منهم له شريعة تتناسب مع زمانه ومكانه رحمة من الله وتيسيرا على عبادة قال تعالى{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]

روى الطبري بإسناده عن قتادة قال:"لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا" يقول: سبيلا وسُنّة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيدُ والإخلاصُ لله، الذي جاءت به الرسل"[٣]

ويؤكد هذا حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ((أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد))[٤].

قال ابن حجر رحمه الله" وأولاد العلات الإخوة من الأب.. ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع"[٥]

---

(١)تفسير الطبري (٦/ ٢٧٥)

(٢)تفسير الطبري (٦/ ٢٧٥)

(٣)تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٥)

(٤)صحيح البخاري(٤/ ٢٠٣)

(٥)فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٩)

٥-حكم تعلم علم العقيدة.

علم العقيدة هو العلم المتعلق بمعرفة الله ﷻ وعبادته ومعرفة أصول الدين وهذا كما سبق أشرف العلوم إلا أن منه ماهو فرض عين ومنه ماهو فرض كفاية .

أما فرض العين فهو ما لا يصح الإسلام إلا به وهو ما يتعلق بمعرفة معنى لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، وكذلك أركان الإيمان الأخرى إجمالا ولما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن أركان الإيمان والإسلام قال ﷺ (هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمور دينكم).

يقول ابن عبد البر رحمه الله :" " قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع، واختلفوا في تلخيص ذلك؛ والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك: ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ولا شبه له ولا مثل له {لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد} [الإخلاص: ٤] خالق كل شيء وإليه يرجع كل شيء، المحيي المميت الحي الذي لا يموت عالم الغيب والشهادة هما عنده سواء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء هو الأول والآخر والظاهر والباطن، والذي عليه جماعة أهل السنة والجماعة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، هو على العرش استوى، والشهادة بأن مُحَمَّدًا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه حق وأن البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال، والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة في الجنة، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في السعير حق وأن القرآن كلام الله وما فيه حق من عند الله يلزم الإيمان بجميعه.... ثم ذكر جملة من أركان الإسلام وجملة من المحرمات.ثم قال : وما كان مثل هذا كله مما قد نطق به الكتاب وأجمعت الأمة عليه"[١]

---

(١)جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦)

فالأصول العقدية واجب على كل مسلم معرفتها إجمالا بمعنى ان يعرف المقصود منها وأن يعرف أهم ما يتعارض معها أو يناقضها مثل الشرك والكفر حتى لايقع في اضدادها، ولكن لايلزمه معرفة الأدلة التفصيلية ولا المسائل الدقيقة منها، والتزود من هذه المعرفة هو زيادة في الخير.

ومما يدل على وجوب هذه المعرفة قوله تعالى في أول مانزل من القرآن {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١ – ٥]

وقوله تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } [محمد: ١٩]

ولذا بوب عليها البخارى رحمه الله (باب العلم قبل القول والعمل)

ومن الأدلة على فرضية معرفة الله وتوحيده ومابه تتحقق نجاة العبد يوم القيامة قوله تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الحجر: ٩٢]

قال ابن جرير في معناها :"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عضين في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به، وفيما بعثناك به إليهم من آي كتابي الذي أنزلته إليهم، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان"

وروى عن أنس وابن عمر رضي الله عنهما وغيرهما أنهم يسألون : عن لا إله إلا الله.

وعن أبي العالية أنه قال: "يُسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين".[1]

ومن الأدلة أن الرسول ﷺ أرسل معاذا إلى اليمن وأوصاه بقوله «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا،

---

(١)تفسير الطبري (١٧/ ١٤٩)

فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس»[1]

ومن الأدلة الصريحة في أن معرفة ذلك فرض عين على كل مسلم أن فتنة القبر ستكون سؤال كل مسلم عن عقيدته من ربك ما دينك من نبيك ففي حديث البراء بن عازب ﵁ عن النبي ﷺ قال: « ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك فيقول : ربى الله. فيقولان له : ما دينك فيقول : دينى الإسلام. فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم قال فيقول : هو رسول الله ﷺ فيقولان : وما يدريك فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت» فقال ﷺ « فذلك قول الله عز وجل (يثبت الله الذين آمنوا) »[2]

فإذا كانت ربطت النجاة في القبر بالجواب الصحيح لهذه الأسئلة الثلاث والسؤال عنها وأنه سيكون لكل فرد من الناس ؛ فهذا دليل صريح على فرضيتها عينا على كل أحد فإن الجاهل بها والمنكر لها يكون في شر حال كما قال ﷺ أن الملكان يأتيان الكافر والمنافق: «فيقولان له: من ربك؟ فيقول : هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادى مناد من السماء ان كذب؛ فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة »

فنعوذ بالله من حال أهل الضلال والكفران.

ولأهمية هذا العلم وفرضيته على كل مسلم ومسلمة بنى الشيخ مُحَمَّد بن عبدالوهاب رحمه الله كتابه ثلاثة الأصول فى معرفة هذه الأصول الثلاثة فقال في بدايته :

---

(١)صحيح البخاري (٩/ ١١٤)

(٢)مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٢٨٧)سنن أبي داود . (٤/ ٣٨٣)وقال محقق المسند : إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح

"فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدا ﷺ "[1]. ثم فصل فيها تفصيلا مختصرا فعرف بها وببعض أدلتها وبلوازمها ونواقضها.

وأما فرض الكفاية من علم العقيدة فهو معرفة هذه المسائل وتفريعاتها بأدلتها التفصيلية كمعرفة الأسماء الحسنى كلها ومعرفة صفات الله ﷻ على التفصيل وسنة رسول الله ﷺ المخالف فيها أهل البدع تفصيلا وكذلك أمور الآخرة تفصيلا ومسائل الإيمان بالقدر بأدلتها فكل ذلك فرض على الكفاية على الأمة فإن الواجب على طائفة منها أن تتعلم ذلك لتكون المعلمة والمبلغة لبقية الأمة مايخفى عليها من دقيق المسائل والأدلة التفصيلية عليها قال تعالى {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة:١٢٢]

فهذه الآية صريحة في أن من الواجب على طائفة من الأمة أن تتفرغ للعلم والدعوة إليه وهذا مايسمى فرض الكفاية، قال ابن عبدالبر رحمه الله في بيان ماهو من العلم فرض على الكفاية : "ثم سائر العلم، وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس إياه وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم والحكم به بينهم فرض على الكفاية يلزم الجميع فرضه فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين بموضعه لا خلاف بين العلماء في ذلك وحجتهم فيه قول الله عز وجل {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم} [التوبة: ١٢٢] فألزم النفير في ذلك البعض دون الكل، ثم ينصرفون فيعلمون غيرهم والطائفة في لسان العرب الواحد فما فوقه"[2]

---

(١)الأصول الثلاثة (ص: ٣)قال الشيخ ابن باز في بداية شرح الأصول الثلاثة : وقد كان ـ رحمه الله ـ يلقن الطلبة والعامة هذه الأصول ليدرسوها ويحفظوها ، ولتستقر في قلوبهم لكونها قاعدة في العقيدة .وقال د عبدالرحمن بن جبرين في حاشية الأصول الثلاثة (ص: ٥)عنها : "كانت موضع العناية ومحل الاهتمام ، بحيث كان الموحدون يجتهدون في حفظها ، ويلقنونها لأطفالهم وعوامهم"

(٢)جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٨)

وقال ابن عاشور رحمه الله في آية التوبة ((وإذ قد كانت الآية السابقة قد حرضت فريقا من المسلمين على الالتفاف حول رسول الله ﷺ في الغزو لمصلحة نشر الإسلام ناسب أن يذكر عقبها نفر فريق من المؤمنين إلى رسول الله ﷺ للتفقه في الدين ليكونوا مرشدين لأقوامهم الذين دخلوا في الإسلام.))[١]

٦-تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله واهم الكتب فيه والأسباب الداعية للتدوين

إن علم العقيدة من العلوم التي انقسمت إليها علوم الشرع ففيه علوم القرآن وعلوم السنة والحديث وعلم الرجال والتاريخ وفيه علم الفقه وفيه علم العقيدة،
وقد حظي علم العقيدة باهتمام أهل الإسلام من زمن الصحابة ثم من بعدهم التابعين ثم أتباعهم إلى هذا الزمان، فكتبوا فيه واهتموا بإبرازه وإظهاره وإشهاره مكتوبا متزامناً في ذلك مع مايدرس شفهياً ويلقى على التلاميذ ويبلغ الناس به في الحلقات والدروس.
وقبل أن نبين مايتعلق بتدوين علم العقيدة نشير إلى أن هذا العلم هو جزء من علوم الشرع فلذا لم يتميز بالكتابة الخاصة ابتداء بل كان يذكر ضمن مايذكر من أدلة القرآن ومايروى من السنة النبوية، ثم بدأ يبرز في مؤلفات مستقلة كما سيتبين ، لذا سنتابع باختصار مسألة التدوين المشتركة مع غيره من العلوم ثم نبين حركة التدوين والتي بدأ أهل العلم يخصون مسائل العقيدة بالتآليف المختصة بها وسنرتب ذلك وفق الترتيب الزمني في الوقوع :

أولاً : القرآن الكريم.

---

(١)التحرير والتنوير لابن عاشور(١١/ ٥٩)

القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ المنزل على نبينا مُحَّد ﷺ والمنزل لهداية البشرية كلها؛ للعقيدة التي يريد الله من عباده أن يعتقدوها والشريعة التي يجب أن يلتزموها، فهو المصدر الأول للعقيدة.

وإن الناظر في القرآن الكريم لن تخطئ عينه ولا بصيرته الكثرة الكاثرة من آيات الاعتقاد الواردة فيه فكأنما هو كتاب عقيدة فقط؛ مع احتوائه على غيرها لكن الأغلبية لمسائل العقيدة وخاصة التوحيد ولوازمه والتحذير من نواقضه حتى قال ابن القيم رحمه الله : "بل نقول قولا كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[١].

وكذلك هو ملئ بأدلة التوحيد الصريحة والقياسية والرد على المخالفين فيه والمنكرين له من المشركين والملاحدة والمنافقين فهو كتاب عقيدة بامتياز.

ولا يخفى أن القرآن الكريم له طريقته الخاصة بالدعوة إلى أمور الإيمان والمعتقد فقد ترد ضمن الأمر الصريح وقد ترد ضمن مجموعة من الأوامر المتنوعة وقد ترد ضمن قصة من القصص أو ضمن العرض لبعض أحداث وقعت أو ستقع في المستقبل أو من ضمن تعريف الله ﷻ بنفسه أو رسله وهكذا وللترابط الوثيق بين القرآن الكريم والعقيدة أذكر هنا تدوين القرآن الكريم على سبيل الأختصار:

---

(١)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤١٧)

١-كتابة القرآن الكريم زمن النبي ﷺ

لا يخفى على مسلم أن القرآن الكريم نزل وحياً من الله ﷻ لنبيه مُحَمَّداً ﷺ بواسطة أمين وحيه جبريل عليه السلام قال تعالى {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]

وحفظه النبي ﷺ وحفظه الكثير من الصحابة أخذوه عن الرسول ﷺ مشافهة .

وحفظ القرآن في الصدور هو أوثق ما يكون في الضبط، وخاصة في ضبط النطق بالكلمات، لأن المكتوب قد يُخْتلَف في طريقة نطقه أما ما تُلقى سماعاً وحُفِظَ فإنه لا يُختَلَف فيه .

ومع هذا فقد كان للرسول عليه الصلاة والسلام كَتَبة يكتبون القرآن ويُدونونه على ما يتيسر لهم من الجلود والرقاع أو الخشب أو العظام، فكل ما تيسر لهم كتبوا عليه وذلك لقلة وندرة الوسائل المتاحة وقتئذ .

فكان إذا نزل شيء من القرآن دعا الرسول ﷺ أحد المسلمين الذين يكتبون وأمرهم بكتابته ووضعه في مكانه من القرآن.

فقد روى الترمذي وغيره عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: "كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول:" ضعوا هذه الآية في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا"[١].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:"كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع"[٢] قوله"نؤلف"من التأليف أي نجمع القرآن من الرقاع التي يُكتب فيها.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: إني قاعد إلى جنب النبي ﷺ يوماً إذ أُوحِيَ إليه.قال: وغشيته السكينة ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة، قال زيد: فلا والله ما

---

١ - أخرجه الترمذي- تفسير القرآن (٥/٢٧٢) وقال حديث حسن وأخرجه الحاكم في المستدرك(٢/٣٣٠) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

٢ - أخرجه ت- كتاب المناقب(٥/٧٣٤) وقال حسن غريب وأخرجه حم (٥/١٨٥) .

وجدت شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله ﷺ، ثم سُرِّي عنه فقال: أكتب يا زيد. فأخذت كتفاً فقال:أكتب (لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) الآية كلها إلى قوله (أجرا عظيما) فكتبت ذلك في كتف، فقام حين سمعها بن أم مكتوم وكان رجلا أعمى، فقام حين سمع فضيلة المجاهدين قال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى وأشباه ذلك، قال زيد: فوالله ما مضى كلامه أو ما هو إلا أن قضى كلامه غشيت النبي ﷺ السكينة فوقعت فخذه على فخذي فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ثم سرى عنه فقال اقرأ فقرأت عليه { لا يستوي القاعدون من المؤمنين } والمجاهدون) فقال النبي ﷺ { غير أولي الضرر } قال زيد: فألحقتها فوالله لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع كان في الكتف [1].

فهذا فيه دلالة واضحة على أن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن.

بل ورد عنه النهي عن كتابة غير القرآن، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وحدثُوا عني ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ وقعده من النار"[2].

وكان له عليه الصلاة والسلام كُتّاب للوحي منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وغيرهم[3] فاجتمع للقرآن في حياة النبي ﷺ الحفظ في الصدور من قبل الرسول ﷺ والمئات من الصحابة في زمن النبي ﷺ وبعده، أما حفظ أجزاء منه فجميع المسلمين صغيرهم وكبيرهم، ذَكَرَهم وأنثاهم يحفظون منه أجزاء على التفاوت، لارتباط ذلك بالصلاة التي هي عمود الدين.

---

١ – أخرجه حم(١٩١/٥) واللفظ له وأخرجه البخاري في التفسير. انظر الصحيح مع الفتح(٢٥٩/٨) ت– التفسير (٢٤١/٥) .

٢ – أخرجه م. الزهد (٢٢٩٨/٤) ذكر النووي أقوالاً في المراد من النهي من أحسنها قول من قال: أن النهي كان احتياطاً للقرآن حتى لا يختلط بغيره من كلام النبي ﷺ الذي ليس من القرآن. انظر شرح مسلم للنووي(١٣٠/١٨) .

٣ – انظر مناهل العرفان ص٣٦٧ .

واجتمع له في زمن النبي ﷺ الكتابة مع الحفظ، وأيضاً المراجعة و المدارسة من قبل جبريل مع النبي عليهما الصلاة والسلام في كل سنة، وفي السنة التي توفي فيها عليه الصلاة و السلام دارَسَه جبريل عليه السلام القرآن مرتين.

٢- جمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بعد وفاة النبي مُحَمّد ﷺ ارتدَّ كثير من العرب فعزم أبو بكر رضي الله عنه خليفة الرسول ﷺ على قتالهم وانخرط في جيوش المسلمين كثير من حُفاظ القرآن فقُتِل عدد كبير منهم مما جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الرجل المُلهم أن يتخوف من ضياع القرآن بموت حُفاظه إلا أن يُجمع في مصحف يكونُ إماماً للناس، فعرض هذا الرأي على أبي بكر رضي الله عنه وافق على ذلك بعد تردد .

فقد روى البخاري رحمه الله عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: " أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر قلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي ﷺ فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره

{ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم }إلى آخرهما وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر "[1].

---

١ - أخرجه البخاري- في تفسير سورة التوبة- انظر الصحيح مع الفتح(٣٤٤/٨) وانظر (١٠/٩) منه أيضاً.

فقام زيد بن ثابت ﷺ بجمعه يساعده في هذا عمر ﷺ ورغم أن عمر وزيد كانا يحفظان القرآن إلا أنهما لم يجمعاه من حفظهما وإنما كانا يجمعانه من المكتوب لدى الناس وعليه شهود أنه كُتب وتُلُقيَ من النبي ﷺ وفي هذا روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف: أن عمر بن الخطاب ﷺ قام فقال مخاطباً الناس: من كان تلقَّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، قال: وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان" .

وفي رواية أخرى " أن أبا بكر قال لعمر وزيد: أقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"[١].

فهذا زيادة منهما رضي الله عنهما في الاحتياط لكتاب الله. فتمَّ جمع القرآن في مصحف واحد زمن أبي بكر ﷺ ولم يكن انقضى على وفاة الرسول ﷺ عامٌ واحد، وتولى الأمر بجمعه خليفة رسول الله وهو أعظم رجل في الإسلام بعد نبي الله ﷺ وباشر جمعه ثاني رجل في الإسلام وهو عمر بن الخطاب ﷺ مع زيد بن ثابت الذي كان من أكثر الناس أهلية لهذا العمل حيث كان حافظاً للقرآن عاقلاً ذكياً وكان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان شهِد العرضة الأخيرة للقرآن. فتمَّ الأمرُ على أكمل وجه وأحسن حال، ووضعت تلك النسخة عند حفصة أم المؤمنين ﵂.

٣-جمع عثمان ﷺ للقرآن مرة أخرى

بعد قُرابة ثلاثة عشر عاماً من جمع أبي بكر للقرآن جَمَعَه مرة أخرى عثمان بن عفان ﷺ وهو الخليفة الثالث فقد روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن حذيفة بن اليمان قَدِم على عثمانﷺ، وكان يُغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف[١] ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير،

١ - ذكر هذه الروايات الحافظ في الفتح(١٤/٩) .

وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة[٢] إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة[٣] فأرسل إلى كل أُفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أن يُحرق"[٤].وكان عثمان ﷺ استشار الصحابة فيه فأشاروا عليه بما فعل[٥].

فجُمِع المسلمون على هذا المصحف، وهو المصحف العثماني .

فكان هذا التدوين هو أول تدوين للعقيدة.

ثانياً: السنة النبوية:

هي المصدر الثاني للعقيدة وكل عقيدة ليست في القرآن أو السنة ليست عقيدة للمسلمين، وقد كانت رسالة النبي ﷺ وبعثته هي لتعليم الناس دينهم عقيدة وشريعة وكل ما اوحى الله به إليه قال تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]فلذا بلغ الرسول ﷺ كل ما أوحي إليه وتحمل أصحابه رضوان الله عليهم حفظ ذلك النور والعلم الجم وبثوه فيمن بعدهم، وكيف لايحفظون ويبثون وقد أثنى الله على أهل العلم فقال {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

١ – مراده بالصحف– القرآن الذي جمعه أبو بكر ﷺ لأنه صار إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها كما دلَّ على ذلك الرواية السابقة .

٢ – القرشيون هم عبد الله بن الزبير –سعيد بن العاص – عبد الرحمن بن الحارث بن هشام– أما زيد بن ثابت فهو أنصاري .

٣ – هذه الصحف بقيت عند حفصة ﷺ إلى وفاتها ثم صارت عند عبد الله بن عمر فطلبها منه مروان بن الحكم أمير المدينة في ذلك الوقت وحرقها وقال: إني خشيت إن طال الزمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب". ذكر هذه الرواية الحافظ في الفتح(٩/٢٠) .

٤ – انظر خ– فضائل القرآن– انظر الصحيح مع الفتح (٩/١١) .

٥ – انظر الرواية في ذلك عن علي ﷺ حيث قال:" لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذي فعله في المصاحف إلا عن ملأٍ مناّ " أي اتفاق– ذكر هذه الرواية الحافظ في الفتح(٩/١٨) وعزَاها إلى أبي داود في كتاب المصاحف وقال إسنادها صحيح .

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: ١١]

وعن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »[١].

و عن كثير بن قيس قال : - كنت جالسا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق . فأتاه رجل فقال يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحديث به عن النبي ﷺ. قال فما جاء بك تجارة ؟ قال لا . قال لا . قال ولا جاء بك غيره ؟ قال لا . قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم . وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض . حتى الحيتان في الماء . وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . أن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما . إنما ورثوا العلم . فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[٢]

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا.

ولما علم الصحابة ذلك شمروا عن ساعد الجد واجتهدوا في تحصيل هذا العلم من مصدريه الكتاب وسنة رسول الله ﷺ فجمعوا وأوعوا ودعوا إلى ذلك العلم ونقلوه إلى من بعدهم وصار للصحابة رضوان الله عليهم تلاميذ يحفون بهم ويأخذون عنهم مشافهة

ومع ذلك فقد كان لبعض الصحابة رضوان الله عليهم كتابات وتدوين خاص لبعض الأحاديث مثل :

١-صحيفة أبي بكر رضي الله عنه

٢- صحيفة على بن أبي طالب رضي الله عنه

٣-صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما المعروفة بالصحيفة الصادقة.

---

(١)صحيح مسلم (٨/ ٦٢)

(٢)سنن الترمذي (٥/ ٤٨) سنن ابن ماجه (١/ ٨١) وقال الألباني صحيح

٤-الصحيفة الصحيحة التي يرويها همام عن أبي هريرة من حديثه وفيها ١٣٨حديثاً[(١)]

وهكذا، ولكن غالب تلك الصحف هي متضمنه لبعض الروايات المتعلقة بالفقه

وقد صار لأولئك التلاميذ تلاميذ وقام مايسمى بعلم الحديث وهو تدوين السنة بأسماء رواتها ونقلتها مع التعرف على كل واحد منهم فردا فردا من ناحية حفظه وضبطه وعدالته وديانته وصحة معتقده وأضداد ذلك، وقام مايسمى بعلم الرجال والإسناد التابع لعلم الحديث، ولمع في سماء المسلمين أعلام تتلمذوا على الصحابة من التابعين وأتباع التابعين وهو العصر الذي بدأ التدوين الموسع للسنة النبوية فيه ومن أوائل من أمر بتدوين السنة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فقد روي الخطيب البغدادي بسنده أن عمر بن عبد العزيز، كتب إلى أبي بكر بن مُحَّد بن عمرو بن حزم يأمره: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ ، أو سنة ماضية أو حديث عمرة[(٢)] فاكتبه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله» وفي رواية أخرى :كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة:«انظروا ما كان من حديث رسول الله ﷺ، فاكتبوه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء»[(٣)]

وروى ابن عبدالبر عن ابن شهاب قال: «أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا»[(٤)]

---

١) تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري (ص: ٧٩)

(٢)عمرة" بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية كانت في حجر عائشة ﵂ ، قال ابن حبان كانت من أعلم الناس بحديث عائشة ﵂، وأبو بكر بن مُحَّد بن عمرو بن حزم هو ابن أخيها ماتت سنة ٩٨هـ تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٨)

(٣)تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ١٠٥) وابوبكر بن حزم كان قاضي المدينة وأميرها وكانت وفاته سنة ١٢٠، انظر شذرات الذهب (١/ ١٥٧)

(٤)جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٣١)

ثم بدأ أهل العلم يدونون محفوظاتهم فدونوا السنة وكتبوا في الاعتقاد خاصة تلك المسائل التي أظهر أهل البدع فيها المخالفة، فدون أهل العلم كتبا وأرسلوا رسائل في مسائل معينة في الإعتقاد أو مسائل الإعتقاد مختصرة وهو ماسنبينه وفق أنواع التدوين في العقيدة :

١-تدوين العقيدة ضمن غيره من الروايات والموضوعات.

بدأ التوسع في كتابة السنة من بداية القرن الثاني الهجري وذلك بأن يكتب العالم مروياته عن النبي ﷺ وكانت تتضمن تلك الكتب موضوعات العقيدة فظهرت الكتب مثل :

-الجامع : لمَعْمَر بن راشد الأزدي مولاهم، نزيل اليمن (ت: ١٥٣هـ)

-الموطأ للإمام مالك ، وهو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني إمام دار الهجرة (ت:١٧٩هـ)

والمسانيد مثل:

-مسند الامام الطيالسي. أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ)

-مسند الإمام الشافعي : هو أبو عبد الله مُحَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)

-مسند الامام الحميدي وهو أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (ت: ٢١٩هـ)

-مسند الامام احمد. أبو عبد الله أحمد بن مُحَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)

والمصنفات مثل:

-مصنف عبدالرزاق. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)

-مصنف ابن أبي شيبة. أبو بكر عبد الله بن مُحَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)

وكتب الصحاح مثل:

-صحيح البخاري. وهو مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزبَه الجعفي البخاري (ت:٢٥٦هـ)

-صحيح مسلم . وهو مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)

وكذلك كتب السنن مثل:

-سنن الدارمي: أبو مُحَمَّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)

-سنن ابن ماجه: أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ).

-سنن أبي داوود : هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)

-سنن الترمذي : هومُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) ، وغيرها كثير .

وكل هذه الكتب كانت تتضمن مسائل الاعتقاد إما ضمن الروايات غير متميزة، كما في المسانيد، لأن المسانيد كانت تعتمد ترتيب الكتاب حسب الراوي من الصحابة أو الشيوخ الذين روى عنهم صاحب الكتاب.

وإما ضمن أبواب خاصة كما هو واقع سائر الكتب الأخرى كالجامع والموطأ والمصنفات والصحاح والسنن .

ومن المثال على ذلك :

كتاب "الجامع" لمعمر بن راشد (ت: ١٥٣هـ)وهو منشور مطبوع في آخر مصنف عبدالرزاق.

وقد تضمن عدة كتب في العقيدة منها :

-باب في الطيرة

-باب في القدر.

-باب في الرقى والعين وغيرها

٢-الموطأ للإمام مالك بن انس إمام دار الهجرة (ت١٧٩هـ) وقد تضمن العديد من موضوعات العقيدة مع الفقه ومن ذلك:

-باب جامع ماجاء في القدر.

-باب في صفة عيسى بن مريم عس والدجال

صحيح البخاري رحمه الله

تضمن كتبا عديدة في العقيدة مثل :

-كتاب الإيمان

-كتاب القدر

كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة.

كتاب التوحيد.

٣-تدوين العقيدة في رسائل وكتب مستقلة:

لأهمية العقيدة اهتم أهل العلم بها من وقت مبكر من تاريخ المسلمين وربما هي من أوائل العلوم التي أفرزت من كتب السنة وخصت بكتب ورسائل مستقلة يتم فيها التصريح بالموضوعات المقصودة من العقيدة وذلك أن أهل البدع ظهروا في وقت مبكر من تاريخ المسلمين كالخوارج والقدرية والروافض والجهمية والمعتزلة فاحتاج المسلمون لمن يوضح لهم مايجب عليهم اعتقاده في المسائل المختلف فيها

فبدأ أهل العلم الكتابة في العقيدة وذلك بذكر مايعتقدون أو مايجب على المسلم اعتقاده في وقت رافق به ذلك تدوين السنة ومن أول مارأيت من ذلك :

١-كتاب عمر بن عبدالعزيز في بيان القدر

كتب أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله(ت:١٠١هـ) إلى عدي بن أرطأة وكان والياً لعمر على البصرة جوابا لسؤال عن القدر ومايرى في حكم القدرية فقد روى الأجري بسنده أن عدي بن أرطاة، كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إن قبلنا قوما يقولون: لا قدر، فاكتب إلي برأيك، واكتب إلي بالحكم فيهم فكتب إليه: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطأة أما بعد: فإني أحمد إليك الله

الذي لا إله إلا هو أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون مما قد جرت سنته، وكفوا مؤنته، فعليكم بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق...." [1] ثم ذكر بعده مايجب على المسلم في القدر.

٢-اعتقاد الإمام سفيان الثوري : وهو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى (ت:١٦١ هـ) وقد ذكر معتقده اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة وابتدأه بقوله :"بسم الله الرحمن الرحيم: القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، من قال غير هذا فهو كافر ، والإيمان قول وعمل ونية ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ولا يجوز القول إلا بالعمل ، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية ، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة...". [2] ثم ذكر العديد من مسائل المعتقد.

٣- القدر وما ورد في ذلك من الآثار لابن وهب عبدالله بن وهب بن مسلم المصري الفهري (ت:١٩٧هـ)صاحب الإمام مالك

وقد سلك فيه منهج المحدثين بإيراد الأحاديث في باب القدر.

٤-رسالة أسد بن موسى إلى اسد بن الفرات في لزوم السنة والتحذير من البدعه: لأبي سعيد أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي الملقب بأسد السنة(ت:٢١٢هـ) وقد روى هذه الرسالة ابن وضاح في كتابه البدع والنهي عنها فقال :" إن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: " اعلم أي أخي أنما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة ، وعيبك لأهل البدعة ، وكثرة ذكرك لهم ، وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك ، وشد بك ظهر أهل السنة ، وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم ، فأذلهم الله بذلك ، وصاروا ببدعتهم مستترين ، فأبشر أي أخي بثواب ذلك ، واعتد به أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد..." [3]

---

(١)الشريعة للآجري (٢/ ٩٣٠)

(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(١/ ١٧٠)

(٣)البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص٢٧)

٥- أصول السنة، للحميدي وهو صاحب المسند السابق ذكره (ت:٢١٩هـ) وكتابه أصول السنة مطبوع في آخر كتابه المسند وقد فصل فيه المعتقد.وقال في أولها :"السنة عندنا أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره وأن يعلم أن ما أصابه ليكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ..." ثم ذكر مسائل الإعتقاد الأخرى.

٦- الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤)

وكتابه مطبوع بتحقيق الألباني رحمه الله وهو في تعريف الإيمان وزيادته ونقصانه والإستثناء فيه وعدم تكفير مرتكب الكبيرة.

٧-الإيمان لابن أبي شيبة صاحب المصنف السابق ذكره (ت: ٢٣٥هـ) وقد كتبه وفق طريقة المحدثين بإيراد الروايات والآثار عن الصحابة والتابعين التي تتعلق ببيان تعريف الإيمان وزيادته ونقصانه والإستثناء فيه وعدم تكفير مرتكب الكبيرة.وهو مطبوع يتحقيق الألباني رحمه الله.

٨- الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن

لأبي الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (ت: ٢٤٠هـ) والكتاب هو حكاية مناظرة وقعت بينه وبين بشر المريسي أمام الخليفة العباسي المأمون وكان بشر المريسي معتزليا يدعو إلى إنكار الصفات ومنها دعواه بأن القرآن مخلوق فناظره الكناني أمام المأمون وأقام الحجة عليه في أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكتاب مطبوع عدة طبعات من أحسنها ما كان بتحقيق شيخنا أ.د علي بن مُحَمَّد بن ناصر الفقهي .

٩-أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) وهي رسالة مختصرة في أصول المعتقد وابتدأها بقوله :"أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة وترك الخصومات في الدين والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الإتباع وترك الهوى....." ثم ذكر مسائل الإعتقاد وهي رسالة صغيرة مطبوعة عدة طبعات.

١٠- الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) وهذا الكتاب في الرد على الجهمية بإبطال شبههم في بعض الآيات وأوسع مافيه كان الرد عليهم بشبههم المتعلقة بقولهم في خلق القرآن كما رد عليهم في انكارهم لرؤية الله ﷻ يوم القيامة وإثبات العلو له ﷻ وابتدأها بقوله : "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويلاالجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين...."

والكتاب مطبوع عدة طبعات.

١١-فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) وهم كتاب على طريقة أهل الحديث بإيراد الروايات عن النبي ﷺ في فضائل الصحابة ، وهو كتاب مطبوع في مجلدين.

١٢- خلق أفعال العباد، للبخاري مُحَمَّد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)وذكر فيه مسائل المعتقد وأسهب في الرد على من ادعى أن القرآن مخلوق ورد على القدرية الذين يزعمون أن أفعال العباد غير مخلوقة، والكتاب مطبوع عدة طبعات.

والكتب في المعتقد للسلف كثيرة جدا ومن أحب الإطلاع على ثبت فيها فليراجع كتاب د عبدالسلام بن برجس العبدالكريم رحمه الله "تاريخ تدوين العقيدة السلفيه" فقد عرف فيه بكثير من الكتب السلفية حسب تواريخ وفاة أصحابها .

١٣-تأويل مختلف الحديث: لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) أديب أهل السنة وقد كتب كتابه للرد على شبه المعتزلة وغيرهم في نقد بعض

الروايات الحديثية من ناحية زعمهم تناقضها فيذكر الحديث واعتراضهم عليه ثم يجيب على الإعتراض

١٤- الرد على الجهمية للدارمي أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (ت: ٢٨٠هـ) وقد ذكر فيه أكثر مسائل المعتقد.

١٥- السنة لابن أبي عاصم النبيل وهو أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ) وقد جمع فيه مسائل الاعتقاد مبوبة وجعل الأدلة على عناوين الأبواب من الروايات الحديثية وبعض الآثار عن الصحابة ، وقد طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق الألباني رحمه الله.

١٦-البدع والنهي عنها: لأبي عبد الله مُحَمَّد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (ت: ٢٨٧هـ) وهو كتاب صغير اشتمل على الروايات في البدع والنهي عنها والتحذير من مجالسة أهل البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل ما يذكره يرويه بالإسناد لهذا هو أصل لأكثر الكتب التي كتبت في موضوعه وهو مطبوع عدة طبعات.

١٧- السنة : لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل (ت: ٢٩٠هـ) وقد اشتمل الكتاب على مسائل العقيدة ويستدل لها بالأدلة من الأحاديث النبوية وقد رد فيه على الفرق البدعية كالجهمية والقدرية والخوارج والمرجئة.

١٨- السنة : لأبي بكر أحمد بن مُحَمَّد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (ت: ٣١١هـ) وهو من الكتب الموسوعية التي اشتملت على الروايات عن النبي ﷺ والصحابة ومن جاء بعدهم من أهل العلم وكانت أكثر رواياته عن الإمام أحمد وكلها في مسائل الاعتقاد وقد بدأه بالكلام عن الخوارج فقال : "أول كتاب المسند، ما يبتدأ به من طاعة الإمام، وترك الخروج عليه، وغير ذلك" وكل مايذكره يرويه بالإسناد، وقد طبع الكتاب في ثلاثة مجلدات بتحقيق أخينا أ.د عطية الزهراني.

١٩- الشريعة :لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)وهو كتاب موسوعي في العقيدة ذكر فيه مسائل العقيدة ويرويها بالإسناد المتصل إليه وقد طبع بتحقيق أ.د عبدالله بن عمر الدميجي وله طبعات قديمة ناقصة.

٢٠-الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة أو الإبانة الكبرى:لابن بطة وهو عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العكبري (بفتح العين، وفتح الباء الموحدة، وقيل: بضم الباء أيضا. والصحيح بفتحها) كنيته: أبو عبد الله معروف بـ: ابن بَطة (ت:٣٨٧هـ) وكتابه هذا من الكتب الموسوعية في العقيدة وكل رواياته بالإسناد وهو مطبوع في ٩ أجزاء بتحقيق مجموعة من الباحثين.

٢١-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: ٤١٨هـ) وهو من الكتب الموسوعية في العقيدة وكل مايذكره يرويه بالإسناد وقد طبع في ٤ مجلدات بتحقيق أخينا أ.د: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، رحمه الله.

هذه من أهم الكتب في مسائل العقيدة [١] إلى القرن الرابع الهجري وقد استمر التأليف من أهل العلم في العقيدة على منهج السلف إلى هذا الزمن وهي ألوف والحمد لله.

والكتب المذكورة وكما هو ظاهر متنوعة في موضوعاتها وكذلك متنوعة في منهجيتها، وهو ما سنذكره باختصار في التالي:

٧- منهج السلف في تدوين علم العقيدة :

---

(١)ذكرت الكتب حسب التسلسل التاريخي واعتنيت بالموجود منها أما ماذكره أهل العلم ولازال مفقودا فهو كثير كما أني من رقم ١-١٧ التزمت بالتسلسل لكل الموجود من كتب العقيدة التي ألفت ال نهاية القرن الثالث ثم حرصت على ذكر الكتب الموسوعية وهي أربعة كتب مشهورة وموجودة مطبوعة.

لقد كتب السلف كتبهم في العقيدة بمنهجية تأصيلية مهمة جدا وبناء على ماسبق ذكره من الكتب وغيرها يمكن لنا أن نفصل المنهجية التي كتب فيها السلف كتبهم بما يلي:

أولاً-منهج العرض وأهم الكتب المؤلفة فيه:

لقد اعتنى السلف بعرض مسائل العقيدة مجملة ومفصلة

أما المجملة: فهي ذكر مسائل العقيدة مختصرة بدون ذكر أدلة عليها أو شرح لها وإنما يثبتون تلك المسائل بذكر المعتقد من الإمام صاحب الرسالة أو الكتاب حتى يعرّف بقوله في مسائل العقيدة مثل:

-قول الإمام سفيان الثوري في رسالته:" القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود..." أو قول الإمام أحمد في كتابه أصول السنة :" --أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة.."

ومن الكتب المؤلفة في هذه المنهجية بالإضافة إلى ما ذكر

-"أصول السنة"، للحميدي، وهذه الرسائل هي عبارة عن ورقات قليلة.

وأما المنهج فيها فهي:

١- مستخلصات مما يستفاد من الأدلة ومنهج السلف .

٢-أن الإمام يحكي عقيدته فيها أو عقيدة من أدرك من أهل العلم في أهم مسائل الإعتقاد التي أدرك الناس يصرحون بها.

٣-أن أهل العلم يخصون بالذكر المسائل التي وقع فيها انحراف عن منهج السلف ليعرف المنهج السلفي في المسألة من المنج البدعي.

أما المفصلة: فهي الكتب التي توسع أصحابها في عرض مسائل الإعتقاد واستدلوا لها بالأدلة الشرعية، وقد يكون ضمنها الردود على أهل البدع ومنها :

-"السنة" لابن أبي عاصم النبيل

-"السنة": لعبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل. "

-" السنة" : لأبي بكر أحمد بن مُحَمَّد بن هارون الخَلَّال .

-"الشريعة" :لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسين الآجُرِّيُّ .

- "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة أو الإبانة الكبرى:لابن بطة عبيد الله العكبري.

-"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" :لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي.

ومنهجهم في هذه الكتب المفصلة كما يلي:

١- يجعلون مسائل الاعتقاد أبوابا أو كتبا يصرحون فيها بالمعتقد.

٢-يستدلون للعقيدة التي جعلوها عنوانا بالأدلة من الكتاب والسنة .

٣-يستدلون للمسألة أيضا بأقوال السابقين من الصحابة والتابعين وأتباعهم من أهل العلم.

٤-قد يذكرون قول المخالفين من أهل البدع ويردون على مقالتهم.

٥-إذا كان لأهل البدع شبهة دليل من الكتاب أو السنة فإنهم يذكرونها ويبينون بطلان استدلالهم لما استدلوا له.

٦-قد يردون باللغة على أهل الباطل وقد يردون عليهم بالمستفيض عند أهل الإسلام وقد يردون عليهم بالعقل الذي لا يخالف الكتاب والسنة.

ثانياً-منهج الرد وأهم الكتب المؤلفة فيه:

مما اهتم السلف بالكتابة فيه الرد على أهل البدع الذين انحرفوا عن العقيدة السلفية ويعتبرون أدواءً في المجتمع الإسلامي كما يعتبرون ناشرين للمقالات الباطلة بين المسلمين، لذا اهتم السلف بالرد عليهم تحذيرا للمسلمين من مسلكهم وحتى لايلبسوا على الناس دينهم واعتبروا الرد عليهم جزءاً لايتجزأ من النصيحة الواجبة على أهل العلم للأمة، لذا لاتكاد تظهر بدعة إلا ويواجهها أهل السنة بالرد والإبطال،ومن الكتب في هذا الباب :

-"الرد على الجهمية والزنادقة" للإمام أحمد بن حنبل.
-"الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن" ،لأبي الحسن عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي
-"خلق أفعال العباد"، للبخاري مُحَّد بن إسماعيل.
-"تأويل مختلف الحديث": لأبي مُحَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .
-"الرد على الجهمية" للدارمي أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني.
وكان لهم منهج معين في الرد وهو:
١-بيان المسألة التي يخالف بها المبتدع منهج أهل السنة.
٢-قد يذكرون مصدر هذه المقالة ومن أين أخذها صاحبها وشيئا من تاريخها.
٣- قد يضيفون إلى ذلك كلام أهل العلم في صاحب المقالة وبيان حاله من الديانة والإستقامة.
٤- قد يضيفون أيضاً موقف أهل العلم من المقالة حال ظهورها كل ذلك ليكون القارئ على علم بحقيقة المقالة وقائلها.
٥-يبنون الرد على بدعته ومقالته بصريح آيات الكتاب وصريح السنة.
٦- كما يستدلون لمفهوم الكتاب والسنة الذي يبطل قول المبتدع ويبينون وجه الإستدلال من النص.
٧- يستدلون بأقوال الصحابة وأهل العلم من بعدهم في ذكر ردهم على البدعة المعينة .
٨-يستدلون لإبطال البدعة بأقوال الصحابة وأهل العلم في بيان معنى النصوص المبطل لقول المبتدع.
٩-يبينون تناقض المبتدع فيما قاله من مقالة مخالفة لمنهج السلف لأصول أخرى يعترف بها المبتدع.
١٠- يبينون تناقض كلام المبتدع مع النصوص الأخرى.
١١- قد يستدلون بإجماع الأمم على القول الحق الذي أنكره المبتدع.
١٢- قد يستدلون للمعنى المقصود بيانه بالمعنى اللغوي الذي خالف دلالته المبتدع.

١٣-قد يستدلون للمعنى الحق الذي يبطل قول المبتدع بالعقل الصريح الذي لاينكره إلا صاحب هوى غوي.

١٤-قد يستدلون على المبتدع بأن المعنى الصحيح والمعتقد الصحيح اعتقده المخدرات من النساء بل الأطفال المميزون فضلا عن أهل العلم وأهل الحجى والعقول.

١٥- قد يشنعون على صاحب المقالة بأنه لشناعة قوله وفساده ليس من يقول به سواه ومن كان على شاكلته من أهل مذهبه.

١٦-إذا ذكر المبتدع دليلا على قوله من الكتاب أو السنة فلهم من استدلاله عدة مواقف

أ-إذا كان استدل بآية من القرآن فإنهم يبينون وجه بطلان استدلاله بذكر المعنى الصحيح للآية .

ب-إذا استدل ببعض النصوص وترك النصوص الأخرى المخالفة لقوله فإن أهل السنة يبينون اعتماده على بعض النصوص وتركه للبعض الآخر، وأن هذا منهج المبتدعة مع أن المنهج الصحيح هو النظر إلى النصوص كلها وعدم إهمال شيئ منها، إذ كلها وحي من الله ﷻ ولايمكن أن تتناقض.

ج-اذا استدل بشيء من الأحاديث الضعيفة أو المكذوبة فإن أهل العلم يبينون بطلان استدلاله بها لضعفها أو وضعها.

ثالثاً-منهج التأليف في موضوعات مفردة وأهم الكتب المؤلفة فيه.

ومما اهتم به السلف العناية بالكتابة في موضوع معين لوقوع الإنحراف فيه أو لما يخشى من الإنحراف فيه فيخصونه بالكتابة لمزيد من العناية وهذا كثير من فعلهم ولهم كتب كثيرة في هذا المسلك من التأليف ومنها مماسبق ذكره:

-"كتاب عمر بن عبدالعزيز في بيان القدر"

-"القدر وما ورد في ذلك من الآثار"، لابن وهب عبدالله بن وهب بن مسلم المصري الفهري.

-رسالة أسد بن موسى إلى اسد بن الفرات في لزوم السنة والتحذير من البدعه" لأبي سعيد أسد بن موسى الأموي القرشي الملقب بأسد السنة.

-"الإيمان" لأبي عبيد القاسم بن سلام

-"الإيمان" لابن أبي شيبة .

-"فضائل الصحابة" للإمام أحمد بن حنبل.

-"البدع والنهي عنها": لأبي عبد الله مُحَّد بن وضاح القرطبي

والمنهج في هذا النوع من الكتب حسب ما قصد المؤلف من الكتاب إما بأن يورد النصوص على المسألة فقط بدون تدخل في الرد على صاحب المقالة الباطلة كما في كتاب القدر لابن وهب، والإيمان لابن أبي شيبة، وفضائل الصحابة للإمام أحمد، والبدع والنهي عنها": لابن وضاح القرطبي

وإما أن يورد المسألة ويعلق عليها ويذكر قوله في ذلك كما في كتاب عمر بن عبدالعزيز في بيان القدر، ورسالة أسد بن موسى إلى اسد بن الفرات في لزوم السنة والتحذير من البدعه،

وإما أن يفصل فيها ويورد الأدلة وأقوال اهل السنة في المسألة كما يورد أقوال أهل البدعة ويبين بطلانها وهذا ظاهر من مسلك أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه "الإيمان"

وعموم المنهج في هذا النوع من الكتب لايخرج عما سبق ذكره من المناهج في النوعين السابقين . والله أعلم.

٨-المراد بأهل السنة والجماعة، وألقابهم، وخصائصهم.

أولاً : المراد بأهل السنة والجماعة

أ- معنى السنة لغة واصطلاحا

السنة في اللغة: بالضم والتشديد؛ الطريقة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة[1].

أما في الإصطلاح: فيقصد بها عدة معان تعود إلى العلم الذي ذكرت ضمنه

فالسنة في اصطلاح الفقهاء: مايقابل الواجب من الأحكام التكليفية وهو مامأمر به أمرا غير جازم.

أوهي : كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب[2].

والسنة في اصطلاح المحدثين :

أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلقية. وزاد بعضهم: وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم: وعلى هذا فهي مرادفة للحديث[3] .

والسنة في عرف علماء العقيدة : هي المقابلة للبدعة فهي ماكان من الأقوال والأفعال موافقا للكتاب وسنة النبي الكريم ومنهجه وطريقته وإجماع سلف الأمة [4].

وقد يقصد بأهل السنة في المعنى العام مايقابل الرافضة فإذا قال أحدهم هذا سني يعني ليس رافضياً لأن الرافضه هم الفئة التي رفضت سنة النبي ﷺ وسنة أصحابه بل طعنوا بأصحاب النبي ﷺ وكفروهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتحدث عن الروافض :"ولا ريب أنهم أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسنة ولهذا كانوا هم المشهورين عند

---

(١)النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٠٩) الكليات (ص: ٤٩٧) المعجم الوسيط (١/ ٤٥٦)

(٢)السنة قبل التدوين (١/ ١٨) وانظر كتاب أهل السنة والجماعة النشأة الأهداف المنهج الخصائص د صالح الدخيل ، رحمه الله (ص٣٣)

(٣)الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص: ١٦) وانظر كتاب أهل السنة والجماعة النشأة الأهداف المنهج الخصائص د صالح الدخيل ، رحمه الله (ص٣٣)

(٤)كتاب أهل السنة والجماعة النشأة الأهداف المنهج الخصائص د صالح الدخيل ، رحمه الله (ص٤٠)

العامة بالمخالفة للسنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي فإذا قال أحدهم: أنا سني فإنما معناه لست رافضيا. ولا ريب أنهم شر من الخوارج"[(١)]

وورود هذا اللفظ في أحاديث النبي ﷺ مقصودا به طريقة النبي ﷺ ومنهجه:

ومما ورد في ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(٢)]

وكذلك حديث العرباض بن سارية وفيه «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، ...» [(٣)]

كما وردت هذه الكلمة عن الصحابة رضوان الله عليهم وأهل العلم ومن ذلك قول عبد الله بن مسعود ﷺ «من سره أن يلقى الله غدا مسلما، فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى،

---

(١)مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٦)

(٢)صحيح البخاري (٧/ ٢)

(٣)سنن ابن ماجه (١/ ١٦)

ولو أنكم صليتم في بيوتكم، كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو أنكم تركتم سنة نبيكم لضللتم. وما من رجل يتطهر، فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولو رأيتنا، وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين، حتى يقام في الصف»[١]

وقال الزهري: «الاعتصام بالسنة نجاة»[٢]

وقال أبو العالية: " تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتوه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم ، فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا الإسلام يمينا ولا شمالا ، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه ، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء"[٣]

ب–معنى الجماعة لغة واصطلاحا:

الجماعة لغة: من جمع المتفرق ضم بعضه إلى بعض والجماعة، العدد الكثير من الناس والشجر والنبات وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد[٤]

والمقصود بالجماعة اصطلاحا:

يقصد بالجماعة اصطلاحا عدة معان ذكرها أهل العلم وبعضها يرجع إلى بعض وهي :

---

(١)مسند أحمد (٧/ ٥٠)

(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٢)

(٣)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٢)

(٤)المعجم الوسيط (١/ ١٣٥)

أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام

وممن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود، فروى أنه لما قتل عثمان سئل أبو مسعود الأنصاري عن الفتنة، فقال: عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم على ضلالة"

والثاني: أنها جماعة العلماء المجتهدين، فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية، لأن العلماء، جعلهم الله حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة» وذلك أن العامة عنها تأخذ دينها، وإليها تفزع من النوازل، وهي تبع لها. فمعنى قوله: "لن تجتمع أمتي" لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة.

وممن قال بهذا عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وجماعة من السلف وهو رأي الأصوليين، فقيل لعبد الله بن المبارك: من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدى بهم؟ قال: أبو بكر وعمر – فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى مُحَمَّد بن ثابت والحسين بن واقد – فقيل: هؤلاء ماتوا: فمن الأحياء؟ قال أبو حمزة السكري.

وعن المسيب بن رافع قال: كانوا إذا جاءهم شيء من القضاء ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله سموه " صوافي الأمراء " فجمعوا له أهل العلم، فما أجمع رأيهم عليه فهو الحق، وعن إسحاق بن راهويه نحو مما قال ابن المبارك[١].

وممن قال بهذا الترمذي حيث قال :وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث، وسمعت الجارود بن معاذ يقول: سمعت علي بن الحسن، يقول: سألت عبد الله بن المبارك: من الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر، قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان، فقال عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة: وأبو حمزة هو مُحَمَّد بن ميمون وكان شيخا صالحا، وإنما قال هذا في حياته عندنا"[٢]

---

(١)الاعتصام للشاطبي (٢/٧٧١)

(٢)سنن الترمذي (٤/ ٤٦٧)

ومن قال بهذا الكرماني رحمه الله إذ يقول في عقيدته :

"باب القول في المذهب : هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل الشام والعراق والحجاز وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا منها، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج من الجماعة، وزائل عن منهج السنة وسبيل الحق"[1].

ومن قال بهذا الشاطبي حيث يقول : ولم يعلموا أن الجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان"[2].

ومن قال بهذا صديق حسن خان رحمه الله إذ يقول :

"فهذه الأقاويل التي وصفت، مذاهب أهل السنة والأثر، وأصحاب الرواية، وحملة العلم النبوي، فمن خالف شيئًا من هذه، أو طعن فيهم، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق"[3].

وقال بهذا بدر الدين العيني إذ قال في عمدة القاري : "المراد بالجماعة أهل الحل والعقد في كل عصر. وقال الكرماني: مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما اجتمع عليه المجتهدون وهم المراد بقوله: وهم أهل العلم[4].

وبه قال الطيبي حيث يقول : المراد بالجماعة السواد الأعظم وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف الصالح"[5]

---

(١) نقلا عن :جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) (ص: ١٥٣)

(٢)الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٧)

(٣)قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص: ١٥٧)

(٤)عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٦٥)

(٥)شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١٢/ ٣٨٤٤) وانظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٠٦)

والثالث: أن الجماعة هم الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلا.

وممن قال بهذا القول عمر بن عبد العزيز، فروى ابن وهب عن مالك قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها! من اهتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا. فقال مالك: فأعجبني عزم عمر على ذلك.

فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه الصلاة والسلام: "ما أنا عليه وأصحابي" فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بذلك خصوصا في قوله: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» وأشباهه، [١].

وممن قال بهذا القول البربهاري رحمه الله فقد قال : "والأساس الذي تبنى عليه الجماعة، وهم أصحاب مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السنة، وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله،". [٢]

والرابع: أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يجمعهم على ضلالة، فإن وقع بينهم اختلاف فواجب تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه.

قال الشافعي: الجماعة لا تكون فيها غفلة عن معنى كتاب الله، ولا سنة ولا قياس، وإنما تكون الغفلة في الفرقة[٣].

---

(١)الاعتصام للشاطبي (٧٧٣/٢)

(٢)شرح السنة للبربهاري (ص: ٣٥)

(٣)الاعتصام للشاطبي (٧٧٣/٢)

والخامس: ما اختاره الطبري من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من جاء إلى أمتي ليفرق جماعتهم فاضربوا عنقه كائنا من كان». قال الطبري: فهذا معنى الأمر بلزوم الجماعة. [1]

وممن قال بهذا الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله إذ يقول :

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يصل إليه من الإخوان سلام عليكم ورحمة لله وبركاته "وبعد" تفهمون أن الجماعة فرض على من دان بالإسلام كما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا} ولا تحصل الجماعة إلا بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين" [2] .

السادس : أن المقصود بهم أهل الحديث

وبه قال الشيخ ابوبكر الاسماعيلي الجرجاني رحمه الله :" هذا أصل الدين والمذهب، اعتقاد أئمة أهل الحديث، الذين لم تشنهم بدعة، ولم تلبسهم فتنة، ولم يخفوا إلى مكروه في دين، ولا تفرقوا عنه، واعلموا أن الله تعالى أوجب في كتابه محبته ومغفرته لمتبعي رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابه، وجعلهم الفرقة الناجية والجماعة المتبعة،"[3]

السابع:من قدموا أبابكر وعمر وأحبوا عليا وعثمان رضي الله عنهم:

وهو قول مروي عن أبي حنيفة رحمه الله فروى الإمام البيهقي بسنده إلى أبي عصمة نوح بن أبي مريم سمعت أبا عصمة يقول: سألت أبا حنيفة من أهل الجماعة؟ قال: من فضل

---

(١)الاعتصام للشاطبي (٢/٧٧١- ٧٧٦)

(٢)المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن(ص: ٢٢٨)

(٣)اعتقاد أئمة الحديث (ص: ٧٩)

أبا بكر، وعمر، وأحب عليا، وعثمان وآمن بالقدر خيره وشره من الله، ومسح على الخفين ولم يكفر مؤمنا بذنب ولم يتكلم في الله بشيء"[١]

الثامن: الجماعة هم من كان على الحق المتمثل في الكتاب والسنة ونهج السلف ولو كانوا الأقل :

وهو قول ابن القيم رحمه الله والشيخ مُحَمَّد بن عبدالوهاب وأكثر أئمة الدعوة ونقله شارح الطحاوية عن أبي شامة

قال ابن القيم رحمه الله "واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذا باليمن، فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت من بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول: سيولى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها؛ فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة، قال: قلت يا أصحاب مُحَمَّد ما أدري ما تحدثون، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي وقال: ويحك، إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى.

---

(١)الاعتقاد للبيهقي (ص: ١٦٣)

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ، ذكرها البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم، فقال: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو مُحَمَّد بن أسلم الطوسي وأصحابه. فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عيارا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، والمعروف منكرا لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: من شذ شذ الله به في النار، وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحدا منهم فهم الشاذون.

وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرا يسيرا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك؛ فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل؛ فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم"[(١)]

وقال ابو شامة :"وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيرا لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من

---

(١)إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٣٠٨) وانظر : الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ مُحَمَّد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) (ص: ٢٣٦) العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين لحسين بن غنّام (ص: ٢١١)

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ولا نظر الى كثرة أهل الباطل بعدهم "[١]

التاسع: هم المجتمعون على السنة:

وقال بهذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: قوله: "وسموا أهل الجماعة، لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة"؛ ... فمعنى أهل الجماعة أهل الاجتماع؛ لأنهم مجتمعون على السنة، متآلفون فيها، لا يضلل بعضهم بعضًا، ولا يبدع بعضهم بعضًا، بخلاف أهل البدع".[٢]

هذه أظهر المعاني التي وردت عن أهل العلم في تفسير معنى الجماعة

والحق أن :"كل هذه المعاني متقاربة، واختلافها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وأهل السنة هم أهل الجماعة على أي معنى من هذه المعاني؛ فأهل السنة يرون إتباع الأئمة من أهل العلم والدين ولا يخرجون عن إجماعهم كما أن قدوتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يهتدون بهديهم ويلزمون آثارهم، وهم أيضًا أعظم الطوائف حرصًا على جماعة المسلمين، وطاعة إمام المسلمين القائم بالعلم والدين ولا يرون الخروج عليه، ما لم يروا كفرًا بواحًا لديهم من الله فيه برهان.

وقبل ذلك وبعده فهم ينظرون إلى الحق والصواب يتلمسونه فيلزمونه ويتمسكون به، وإن كان أكثر الناس على خلافه".

وحتى من قال إن المراد بالجماعة "السواد الأعظم من المسلمين"؛ فأهل السنة أيضًا هم أهل الجماعة بهذا المعنى؛ وذلك أن المراد بالسواد الأعظم: السواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم، وإن انضم إليهم العوام فبحكم التبع؛ لأنهم غير عارفين بالشريعة، ولا بد من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإن العامة لو تمالأوا على مخالفة

---

(١)الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص: ٢٢) ونقله ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٣٦٢)

(٢)شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ٣٢٣)

العلماء فيما حدوا لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر لقلة العلماء وكثرة الجهال؛ فلا يقولن أحد إن اتباع جماعة العوام هو المطلوب، وإن العلماء هم المفارقون للجماعة، والمذمومون في الحديث، بل الأمر بالعكس، وأن العلماء هم السواد الأعظم وإن قلوا، والعوام هم المفارقون للجماعة وإن كثروا"[١]

ومن قال إنهم أهل الحديث فأهل الحديث هم أهل الإتباع للسنة ومن لم يتبع السنة من أي صنف فهو مبتدع لايكون من الجماعة قطعاً.

ج-معنى أهل السنة والجماعة اصطلاحا

أهل السنة والجماعة هم : المتمسكون بمنهج النبي ﷺومنهج أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان في كل مكان وفي كل قرن فلم يخالفوا ذلك إلى بدعة ولم يفارقوا للمسلمين جماعة.

قال ابن كثير رحمه الله : "أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه"[٢]

قال شيخ الإسلام عن مذهب أهل السنة والجماعة :"

مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[٣]

وقال مُحَمَّد رشيد رضا رحمه الله "

"مذهب أهل السنة والجماعة ما كان عليه السواد الأعظم من الصحابة وعلماء التابعين، وأئمة الحديث والفقه ممن تبعهم في الاعتصام بنصوص الكتاب والسنة. ومن

---

(١)وسطية أهل السنة بين الفرق د مُحَمَّد باكريم (ص: ٩٥)

(٢)تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٧)

(٣)مجموع الفتاوى (٨/ ٤٤٩)

غير تحريف ولا تكلف لإرجاع ظواهرها إلى ما ابتدع من البدع والآراء التي أحدثها أهل الأهواء"[١]

وهذه المعاني التي ذكرها أهل العلم واضحة من ناحية أن اسم أهل السنة والجماعة يقتضي الذي ذكر من المعاني السابقة كما يقتضي أن أهل السنة والجماعة هم كل من لم يخالف السنة في شيء من مسائل الاعتقاد ولم يخالف الجماعة فيخرج عليها بقول أو فعل او اعتقاد، لهذا كثير ما يذكر أهل السنة تفاصيل المعتقد فيذكرون في بدايته أو في نهايته أن ماذكر أو ماسيذكر هو معتقد أهل السنة والجماعة الذي لم يختلفوا فيه وكل من خالفهم فهو مبتدع على غير المنهج والجادة ومن ذلك

قول ابن جرير الطبري في حكاية معتقده :"وهو ديننا الذي ندين الله به وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة"[٢]

وقال الترمذي بعد أن ذكر القول في صفات الله عز وجل :"وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة"[٣]

وقال الطحاوي رحمه الله "هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله مُحَمَّد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين"[٤]

وقال أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني :"أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى، وصحت به الرواية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا معدل عن ما ورد به ولا سبيل إلى رده"[٥]

---

(١)تفسير المنار (٧/ ٤٦٠)

(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠٧)

(٣)سنن الترمذي (٣/ ٤٢)

(٤)متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٣١)

(٥)اعتقاد أئمة الحديث (ص: ٤٩)

وقال البيهقي في آخر كتابه الاعتقاد :" هذا الذي أودعناه الكتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة وأقوالهم"[١]

بل كتب بعض أهل العلم كتبا في المعتقد ونسبوا ذلك المعتقد إلى أهل السنة والجماعة ومن ذلك كتاب اللالكائي "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة".

وهذا الإطلاق بهذا التركيب أول من رأيت أنه أطلقه عليهم هو ابن عباس ﵁ فقد روى اللالكائي عنه أنه قال في قوله تعالى: {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه}: فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولو العلم ، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة "[٢]

وممن أطلق هذا الاسم بعده عمرو بن قيس الملائي(ت ١٤٦هـ)، قال: «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع، فايئس منه، فإن الشاب على أول نشوئه»[٣]

وكذلك ورد ذلك عن سفيان الثوري (١٦١ هـ) قوله : «إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب ، فابعث إليهما بالسلام وادع لهما ، ما أقل أهل السنة والجماعة»[٤]

ثم تتابع أهل العلم بإطلاق هذا المسمى على أهل السنة والجماعة مركباً

د–القاب أهل السنة والجماعة:

أهل السنة والجماعة لهم ألقاب يعرفون بها بالإضافة إلى مسمى أهل السنة والجماعة منها:

---

(١)الاعتقاد للبيهقي (ص: ٣٧٧)

(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧٩) وانظر : تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٩)

(٣)الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٠٥)

(٤)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧٢)

السلف :

والسلف في اللغة:والسلف الجماعة المتقدمون.

والمقصود هنا بالسلف :الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين: أي القرون الثلاثة التي أثبت لها النبي صلى الله عليه وسلم الخيرية بقوله في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة".

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"

وهذا التحديد بالقرون الثلاثة هو الذي عليه أكثر أهل العلم ، ولكن مما يجدر التنبه له هو أن الفترة الزمنية ليست مقصودة وإنما المقصود لزوم منهج الذين التزموا بالكتاب والسنة ولم تشبهم شائبة بدعة لأن الذين من غير الصحابة من التابعين وتابعيهم قد ظهرت في زمانهم البدع لذا كل صاحب بدعة لايدخل في هذا اللقب كما هو الحال في لقب أهل السنة والجماعة[1].

قال السفاريني رحمه الله :

" المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية، ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق "[2]

أهل الحديث

أهل الأثر

الفرقة الناجية

الطائفة المنصورة

---

(١)وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ٩٦)

(٢)لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٠) وانظر :وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ١٠١)

خصائص أهل السنة :

لأهل السنة خصائص كثيرة تعود إلى مصادرهم وموقفهم من نصوص تلك المصادر وسنشير إلى بعضها باختصار :

١- اتباع الكتاب والسنة والتزام ذلك فلا يتعدونهما إلى غيرهما

٢- الأخذ بجميع النصوص وعدم طرح شيء منها والاجتهاد في الجمع بين مايكون ظاهره التعارض من النصوص.

٣- التزام منهج السلف الصالح من الصحابة ومن سلك منهجهم .

٤- لامعصوم عندهم الا الرسول ﷺ ومن عداه فلا عصمة له.

٥- اعتبار العقل تابعا للوحي وليس متقدما عليه.

٦- عدم ادراج شيء من المسائل أو القواعد في الدين مالم يأت بها النص أو معارضة شيء من النصوص بها

٧- يحذرون من البدع كلها كما يحذرون من أهلها ويعتبرون البدع من أشر الذنوب.

٨- يلتزمون الجماعة والسمع والطاعة لولاة الأمر ولا يخرجون عليهم لا بقول ولا بفعل.

٩- السعي في اجتماع الكلمة وتأليف القلوب والتحذير من تفريقها وعدم الخوض في الفتن.

٩-مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة:

إن الأخذ من المصادر واعتمادها مصادر عند أصحاب الأديان والفرق هو الذي يوجد التمايز بينها ويحدد الخصائص لكل دين او أصحاب مقالة وعلى قدر صحة المصادر تكون صحة الديانة أو المقالة.

وأهل السنة يعتمدون من المصادر للعقيدة والدين ما أوجب الله اعتماده واعتباره وماجعله واجبا في الأخذ والإقتداء وهي الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح كما أن أهل السنة يعتمدون مصادر بالتبع للكتاب والسنة ويمكن أن نسميها مصادر فرعية ليس لها الاستقلال في الاستدلال وسنبين ما يدل على كل واحد من هذه المصادر .

المصدر الأول

القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله عز وجل وكلامه الذي أنزل لهداية البشرية إلى صراط الله المستقيم ودينه القويم ، وقد حوى القرآن الكريم أصول مسائل الاعتقاد وبعض تفصيلاتها ، وهو الركيزة الأولى لهذا الدين وهو الركيزة الأولى لعقيدة أهل السنة والجماعة ولا يتقدمه مصدر ولايسبقه .

وذلك يعني أنه يجب على المسلم أن يربط عقيدته وسائر أمور دينه بكلام الله ﷻ ابتداءً

وقد أمر الله عز وجل بالتزام كتابه فقال عز من قائل :﴿**والذين يؤمنون بماأنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾ البقرة (٤-٥) . وقال تعالى :﴿ **وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ الأنعام(١٩).

وقال تعالى:﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**﴾ الإسراء(٩) وقال تعالى:﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون**﴾ الأعراف(٣). وقال تعالى:﴿ **يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا** ﴾ الأحزاب (١-٢) **{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}** [الأنعام: ١٠٦]وغيرها كثير.

وعن زيد بن أرقم ﵁ قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا، بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: " **أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال:**

«وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»(١)

وحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺكان يقول في خطبته: "**نحمد الله بما هو أهله** "، ثم يقول: "**من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأحسن الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار** " (٢).

فمن هنا كان أهل العلم يجعلون كتاب الله المصدر الأول للدين وهو مع السنة النبوية يشكلان مصدرا واحدا كما سيأتي بيانه.

المصدر الثاني: السنة النبوية

المقصود بالسنة النبوية هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، ونختص هنا بالحديث المتعلق بالعقيدة فكل ما جاء عن الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ فهو ملزم في باب الإعتقاد كما هو ملزم في غيره.

أما الأدلة الموجبة للالتزام بالسنة فكثيرة، منها قول الله عز وجل:﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**﴾ آل عمران(٣١)، وقوله تعالى: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أن يصيبهم عذاب أليم**﴾ النور(٦٣)، وقال تعالى:﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ الأنفال(٢٤)، وقال تعالى:﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ النساء(٦٥)، وقال تعالى:﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ الحشر(٧)، وقال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾ الأحزاب(٢١).

أما الأحاديث عن النبي ﷺ فكثيرة منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :" **ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما**

---

(١)صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٣)

(٢) الآجري في الشريعة (١/١٧٠) ومسلم حديث رقم (٨٦٧).

أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم "(١).

وحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺكان يقول في خطبته: "**نحمد الله بما هو أهله** "، ثم يقول: "**من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأحسن الهدي هدي مُحَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار** " (٢).

وحديث العرباض بن سارية قال: "وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا (وفي رواية: فما تعهد إلينا) قال: " **قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك** " وفي رواية :" **أوصيكم بتقوى الله والطاعة والسمع وإن كان عبدا حبشيّا،فإنه من يعش منكم بعدي سيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** " (٣).

المصدر الثالث : اتباع سلف الأمة من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم بإحسان.

والمراد بهم الصحابة والأئمة الذين سلكوا نهج الصحابة ولم يبتدعوا في دينهم. فقد دلت الأدلة أيضا على وجوب التزام طريقتهم ونهجهم. قال تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ.

(٢) الآجري في الشريعة (١٧٠/١) ومسلم حديث رقم (٨٦٧).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (١٧١/١)، كما أخرجه حم (١٢٦،١٢٧/٤)، والترمذي رقم (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.

جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: ١٠٠]

وقال تعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥]**

فهذه الآيات فيها الدلالة الواضحة على اقتفاء أثر الصحابة إذ هم أعدل هذه الأمة وأفضلها وأعلمها بدين الله، ثم من سلك نهجهم من أئمة الإسلام وأعلام الهدى.

أما الأحاديث الدالة على سلوك منهجهم فكثيرة، فمن ذلك حديث العرباض السابق وجاء فيه: " **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**". فقد أخبر رسول الله ﷺ في هذا الحديث بوقوع الاختلاف، وأمر عند الاختلاف بلزوم منهج خلفائه الراشدين. ولا شك أن الخلفاء الراشدين هم أفضل الأمة بعد نبيها عليه السلام. ثم يدخل فيهم غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم لورود الإشارة إلى لزوم منهجهم وطريقتهم عموما في الآيات السابقة **{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ }** **{ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ }**

وكذلك حديث افتراق الأمة، وجاء فيه من رواية عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : " **ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل: تفرق بنو إسرائيل على اثنين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين تزيد عليهم كلها في النار إلا ملة واحدة، فقالوا: من هذه الملة الواحدة ؟ قال : ما أنا عليها وأصحابي**، وفي رواية " **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** "وفي رواية " **الجماعة** " وفي رواية "**إلا السواد الأعظم** "(١).

فهذا النص يدل على أن المخرج عند الاختلاف هو في لزوم منهج الصحابة أو الجماعة ولا شك أن الصحابة هم رأس الجماعة.

وهذا بحمد الله ظاهر، إذ أن القرآن والسنة قد تعرضا في آخر زمن الصحابة ﷺ بعدهم لفهوم كثيرة وبعض تلك الفهوم كان نابعا من الهوى، أو التأثر بالأفكار الواردة من اليهود والنصارى والوثنيين من الفلاسفة ونحوهم. فالقرآن موجود والسنة موجودة، لكن الإشكال عند كثير من الناس أتى من فهم مدلول النصوص فمثلا: آيات الصفات وأحاديثها موجودة،

---

(١) أخرجها الآجري في الشريعة (١/١٢٧) وهي مخرجة في السنن عند الترمذي وأبي داود وغيرهم.

فدخلت على المسلمين فهوم خارجية وهو اعتقاد أن الله لا يوصف بصفة ثبوتية، أو أن التنزيه يعني نفي جميع الصفات عن الله ﷻ. فهنا آيات فهمت بفهوم مختلفة متباينة، فنظرنا في فهم الصحابة فوجدنا أن الصحابة ﷺ لم يختلفوا في إثبات شيء من الصفات الواردة في القرآن والسنة، فالتزم ذلك التابعون لهم بإحسان، وصرحوا عنه وأبانوه ودانوا الله به في مقابل الذين جاءوا بكلام في هذا الباب خارج عن منهج الصحابة وطريقتهم وإنما هو على منهج الفلاسفة واليهود والنصارى وغيرهم.

وهكذا سائر المسائل العقدية التي ابتدعها أهل البدع، وخالفوا فيها منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان. فخالفوا بذلك أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ في لزوم منهج الصحابة وطريقتهم عند الاختلاف.

كما قد جاء الحض على التزام منهج الصحابة رضوان الله عليهم عن العديد من العلماء والأئمة ومن ذلك:

ما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "من كان مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب مُحَمَّد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وفضلهم فقد كانوا على الهدى المستقيم".(١)

وقال ﷺ هو أو حذيفة أيضا: "يا معشر القراء اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم".(٢)

وقال عمر بن عبد العزيز كما روى مالك عنه بأنه إذا ذكر عنده الزائغون في الدين قال، قال عمر بن عبد العزيز :"سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله تعالى وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو المهتدي، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٩٧/٢) وروي نحوه أيضاً عن الحسن البصري.
(٢) انظر: الإبانة الصغرى ١٣٦، الإبانة الكبرى (٣٣٦/١).
(٣) الآجري في الشريعة (١٢٤/١).

مصيرا ".

وقال أبو العالية: "عليكم بالصراط المستقيم ولا تحرفوا الصراط يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي عليها أصحابه ..." ثم قال: "وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة". قال الحسن البصري لما بلغه: "صدق ونصح"(١).

ولابد أن ننبه هنا أن التزام نهج الصحابة هو من أهم مايميز أهل السنة والجماعة من غيرهم من أهل البدع لأن أهل البدع لايعتنون بهذا المنهج مع وجود النص عليه من كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ ويذهبون إلى مسالك مبتدعة من عند شيوخهم ورؤسائهم وجعلوها دينا مقابل نهج الصحابة رضوان الله عليهم ، فتهيأ بحمد الله لأهل السنة المصادر القولية والفعلية وهي الكتاب والسنة وكذلك التطبيقية من فعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجهم وطريقتهم.

مصادر فرعية : العقل والفطرة.

إن أهل السنة لأنهم يعتمدون الكتاب والسنة مصدرا ويعتمدون على توجيه الوحي وإشاراته فلذا يرون أن هنا مصدرين يمكن ان يؤخذ منهما الاعتقاد مالم يتعارضا مع الوحي وهما

أولا : العقل .

المقصود بالعقل هو تلك الغريزة التي يفهم بها الخطاب ويدرك من خلالها التوجيهات كما يدخل فيه تلك العلوم الضرورية التي تلزم العقلاء مما لايمكن دفعه كا لواحد أقل من الإثنين واستحالة الجمع بين الضدين وارتفاع النقيضين. [٢]

وقد أمر الله بالتفكر والتعقل لخطابه وأثنى على ذوي العقول الذين يستخدمون هذه الموهبة الربانية في الفهم عن الله عز وجل الخطاب ويستفيدون الالتزام والعمل وفق توجيهات

---

(٢)الضدان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد، يستحيل اجتماعهما، كالسواد والبياض، والفرق بين الضدين والنقيضين: أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود، والضدان لا يجتمعان ولكن يرتفعان، كالسواد والبياض. التعريفات (ص: ١٣٧)

الله تعالى قال تعالى{**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**} [آل عمران: ٧]

وقال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: ١٩٠]

وقال تعالى {وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: ٣٥]

كما عاب الله عز وجل الذين لايعقلون فقال **{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ }** [الأنفال: ٢٢]

وإذا قلنا عن العقل مصدر فرعي في مسائل الاعتقاد فإنما نعني بذلك أن العقل تابع في تقريراته للوحي ولايستقل بتقرير مسألة عقدية ولا أمر من أمور الغيب فله في هذا الباب التبعية المطلقة للوحي .

يقول الشاطبي:" أنه لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع، فإنه من التقدم بين يدي الله ورسوله، بل يكون ملبيا من وراء وراء.ثم نقول: إن هذا هو المذهب للصحابة ﷺ وعليه دأبوا، وإياه اتخذوا طريقا إلى الجنة فوصلوا". (١)

ومما يؤكد ذلك الله عز وجل امرنا بالرجوع إلى كتابه وسنة نبيه في حال الاختلاف وليس إلى العقول ولا المدركات الذهنية قال تعالى **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}** [النساء: ٥٩]

وقال تعالى في وجوب التوقف عما لايدخل في نطاق علمنا من علوم الغيب **{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}** [الإسراء: ٣٦]

وفي منزلة العقل ومكانه مع النصوص يقول شيخ الالسلام ابن تيمية "لم يكن في سلف الأمة وأئمتها من يرُدُّ أدلةَ الكتاب ولا السنة على شيء من مسائل الصفات ولا غيرها، بل ينكرون على أهل الكلام الذين يعدلون عمَّا دلَّ عليه الكتاب والسنة إلى ما يناقض ذلك،

(١)الاعتصام للشاطبي (٢/ ٨٤٥)

ولا كانوا ينكرون المعقولات الصحيحة أصلاً، ولا يدفعونها، بل يحتجون بالمعقولات الصريحة؛ كما أرشد إليها القرآن ودل عليها، فعامَّة المطالب الإلهية قد دلَّ القرآن عليها بالأدلَّة العقليَّة، والبراهين اليقينيَّة"[١].

ثانياً : الفطرة .

والمقصود بها تلك الغريزة التي دلنا الله بها عليه وأوجد فينا معاني مرتبطة بالدين كمعرفة الخير ومحبته ومعرفة الشر والظلم وكراهته فهذه فطر موجودة في الانسان وقد بين الله تعالى أن الإنسان مفطور على الدين الحنيف فقال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٣٠]

وسيأتي مزيد أدلة عند الحديث على أدلة الربوبية.

فالفطرة دليل من أدلة ربوبية الله عز وجل والوهيته، كما أن الفطر شاهدة بحسن الشرع ودعوة التوحيد بل يستدل مع الشرع بالفطرة على ثبوت بعض الصفات كالعلو.

قواعد أهل السنة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد

إن أهل السنة لما قرروا الاعتماد على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح إنما ذلك لأن الحق لن يتعداها وان كل ماسوى ذلك باطل ومردود على أصحابه وهنا نبين القواعد التي كان عليها اهل السنة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد:

أولها:اعتقاد كفاية الكتاب والسنة في كل مسائل الدين وأن الكتاب والسنة حويا أصول الدين وفروعه.

من المعلوم أن علماء الأمة يلتزمون في مسائل الفقه كلها بالنصوص الشرعية ويجعلون أدلة الأحكام الكتاب ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس. ولكن الذين وقعوا في الكلام المذموم أو

---

(١) الصفدية ١/ ٢٩٥.

البدع والأهواء إذا أتوا على باب الاعتقاد أعرضوا عن الكتاب والسنة، مع أن مسائل الاعتقاد من الغيب الذي لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفتها،فلذا تولى الله عز وجل بيانها فقال **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}** [النحل: ٨٩]

بل قال الله عز وجل لنبيه ﷺ : **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [الشورى: ٥٢] فهذا الدين قد بينه الله عز وجل لنبيه ﷺ لأنه من علم الغيب الذي لايمكن أن تستقل العقول بإدراكه بل لابد فيه من الإعتماد على الوحي ولذا أمر الله عز وجل نبيه ببيان ما أنزل إليه من ربه كما قال تعالى **{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}** [المائدة: ٦٧]

فقام عليه الصلاة والسلام بالبلاغ المبين حتى عقل عنه أصحابه جلائل أمور الدين ودقائقه، فما مات عليه الصلاة والسلام إلا بعد أن أقر له الصحابة بالبلاغ وشهدوا له بذلك وصدق الله على ذلك بأن أنزل عليه كمال النعمة وتمامها باكتمال الدين وحيا وبلاغا قال تعالى**{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }** [المائدة: ٣] وكان هذا خطابا للمسلمين عموما ليفهموا أن الله قد كمل الدين وأن نبيه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وادى الأمانه.

وعن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم، فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[1]

فلذا فإن هذا الدين ومن خلال مصدريه قد حويا أصول الدين وفروعه فما كان فيهما فهو الدين وما كان ليس فيهما فلا تأبه له فليس من الدين.

---

(١)مسند أحمد (٢٨/ ٣٦٧)

لأنه من المستحيل أن يكون رسول الله ﷺ علمنا آداب قضاء الحاجة وآداب الأكل والشرب والجماع وعلاقة الإنسان بوالديه وإخوانه وأهله ثم يغفل المعلومات المعرفة لنا بربنا جل وعلا من ناحية صفاته وأسمائه وأفعاله ومايجب أن نعتقده. إن من يدعي هذا أو يظنه فقد طعن في الرسول ﷺ ونسبه إلى التقصير في أهم واجباته التي لا يمكن أن تعرف إلا عن طريقه عليه الصلاة والسلام وحاشاه من ذلك.

قال الإمام الشافعي:"سئل مالكٌ عن الكلام والتَّوحيد، فقال: مُحالٌ أن نظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّم أمَّته الاستنجاء، ولم يعلِّمهم التَّوحيد، والتَّوحيدُ ما قاله النبي ﷺ:"أمرتُ أن أقاتل النَّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله"، فما عصم به الدَّم والمال حقيقة التوحيد"[١].

وقال حسين بن علي الكرابيسي: شهدت الشافعي، ودخل عليه بشر المريسي فقال لبشر: أخبرني عما تدعو إليه: أكتاب ناطق، وفرض مفترض، وسنة قائمة، ووجدت عن السلف البحث فيه، والسؤال؟ فقال بشر: لا، إلا أنه لا يسعنا خلافه.

فقال الشافعي: أقررت بنفسك على الخطأ"[٢].

فمعنى كلامه هذا أن مالم يكن من المسائل نطق به الكتاب ولم تأت به السنة ولم يتكلم فيه سلف الأمة فهو من الهوى وليس من الدين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "رسول الله ﷺ بين جميع الدين أصوله وفروعه؛ باطنه وظاهره علمه وعمله فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا"[٣]

وقال أيضاً :" فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ،وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة...فمحال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله، والعلم به ملتبسا مشتبها، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦/١٠.

(٢)سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧)

(٣)مجموع الفتاوى (١٩/ ١٥٥)

عليه، فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس وأدركته العقول.فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادا وقولا...ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين – وإن دقت – أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف ،وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب،بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية،فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام "[1].

وحين يستدل السلف على مسائل العقيدة بالكتاب والسنة فهم لايفرقون في السنة بين مايسمى المتواتر والآحاد في الأحاديث بل كل ماصح من حديث فهو واجب الاتباع عندهم سواءً في العقيدة أو الأحكام أو الأخلاق فمناط القبول للحديث هو الصحة .

ثانيهما: عدم معارضة القرآن والسنة بعضها ببعض.

القرآن الكريم وحي الله وكلامه جل وعلا، وهو أنزل على نبينا مُحَمّد ﷺ هداية للناس ونورا فلا يمكن أن يكون فيه ما هو متعارض أو متناقض، فهو تنزيل الحكيم العليم، قال عز وجل: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾النساء(٨٢).

فمن أدرك ما فيه من المعاني حمد الله على ذلك ومن لم يستطع فهم شيء منه فليتهم نظره وليقف حيث فهم وعلم ولا يتكلف ما لا علم له به.قال تعالى : ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾ الإسراء(٣٦).

وإذا كان القرآن وحيا من عند الله فكذلك السنة من وحي الله ﷻ، قال جل وعلا: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ النجم(٣-٤). فلا تعارض بينهما ولا تناقض فإن السنة تفسر القرآن وتشرحه كما قال جل وعلا: ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ النحل(٤٤).

---

(١) الفتاوى: ٥/٦-٧.

لذا يقول الشاطبي رحمه الله :" لا تجد ألبتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف؛ لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ؛ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم، (١):

ومن زعم أن بين السنة والقرآن تعارضاً فقد ضل وأخطأ، ومن زعم أنه يأخذ بالقرآن دون السنة فقد ضل ضلالا مبينا. وقد روى الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ أنه قال: " **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه** "(٢).

وروى الآجري عن عمران بن الحصين ﷺ أنه قال لرجل: " إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله تعالى الظهر أربعا لا تجهر بها في القراءة"، ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ثم قال: "أتجد هذا في كتاب الله تعالى مفسرا ؟ إن كتاب الله أحكم ذلك وإن السنة تفسر ذلك"(٣).

وروي عن سعيد بن جبير رحمه الله أنه حدث عن النبي ﷺحديثاً فقال رجل: "إن الله تعالى قال في كتابه كذا وكذا فقال : " ألا أراك تعارض حديث رسول الله ﷺ بكتاب الله تعالى، رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله تعالى"(٤).

والتعارض يكون في فهم الناظر فيه لذا كان من منهج اهل السنة هو الجمع بين النصوص وعدم طرح شيء منها فذلك منهج أهل البدع الذين يأخذون ببعض النصوص ويتركون مالايوافق هواهم كما يفعل الخوارج في نصوص الوعد وكما يفعل الرافضة في نصوص الثناء على الصحابة وكما يفعل المتكلمون باخذ نصوص التنزيه ويتركون نصوص الصفات الدالة على ثبوت الصفات لله عز وجل.

ثالثها : رد التنازع في حال الاختلاف الى الكتاب و السنة

قد أمر الله عز وجل المسلمين في حال الاختلاف الرد إلى الكتاب والسنة فهما

---

(١)الموافقات (٥/ ٣٤١)

(٢) رواه أحمد (١٣١/٤).

(٣) الآجري في الشريعة (١٧٨/١).

(٤) الآجري في الشريعة (١٨٠/١).

معصومان من الخطأ فمن فهم فهما خالفه فيه غيره فلا يرفع التنازع إلا بالكتاب والسنة قال تعالى{**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**}

وقال تعالى {**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**} [النساء: ٦٥]

وقال تعالى {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: ٥١، ٥٢]

رابعها :عدم عرض شيء من ذلك على الآراء والأهواء

ما جاء عن الله ﷻأو عن رسوله ﷺ هو حق لا شك فيه، والواجب فيه الإيمان والتسليم وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ﷺ . فلا يقوم الإيمان الصحيح الصادق إلا بالتسليم للشارع والانقياد له في الأمور العقائدية العلمية والأمور العملية، قال تعالى:﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ النساء(٦٥) ، وقال: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ الأنعام(١٥٣).

وروى الآجري وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية:﴿ **وأن هذا صرا طي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ فخط خطا فقال: ((**هذا الصراط**))، ثم خط حوله خططا فقال: ((**وهذه السبل فما منها من سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه**))(١).

وحديث العرباض بن سارية السابق وهو قوله ﷺ " **وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** "(٢). وكذلك حديث جابر وفيه " **وشر الأمور محدثاتها وكل**

---

(١) المسند (٤٣٥/١).

(٢) سبق تخريجه ص٦ .

بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار".(١)

وروى الآجري عن عمر ﷺ قال: "القرآن كلام الله فلا تصرفوه على آرائكم" (٢). وفي رواية أخرى قال: "إن هذا القرآن كلام الله فلا أعرفن ما عطفتموه على أهوائكم" (٣). وقال محققه: إنه حسن.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : "إنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ" (٤).

وقال رجل لإبراهيم بن يزيد النخعي: "يا أبا عمران أي هذه الأهواء أعجب إليك ؟ فإني أحب أن آخذ برأيك وأقتدي بك"، قال: "ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير وما هي إلا زينة الشيطان، وما الأمر إلا الأمر الأول" (٥).

وقال الأوزاعي رحمه الله : "عليك بأثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول" (٦).

يقول الشاطبي رحمه الله بعد أن نقل التزام السلف بالنقل وإعراضهم عن المخالف لذلك :" فالحاصل من مجموع ما تقدم أن الصحابة ومن بعدهم لم يعارضوا ما جاء في السنن بآرائهم، علموا معناه أو جهلوه، جرى لهم على معهودهم أو لا، وهو المطلوب من نقله، وليعتبر فيه من قدم الناقص – وهو العقل – على الكامل – وهو الشرع"(٧)

فهذه النصوص وغيرها كثير فيه دلالة واضحة على عدم عرض القرآن أو السنة على شيء من الأهواء والآراء، وإنما الواجب التسليم والإيمان. على هذا درج الأئمة، فأنت لا ترى مسألة في العقائد إلا ويرجعونها إلى أصولها من الكتاب والسنة وكلام الصحابة والأئمة.

---

(١) سبق تخريجه ص٦ .

(٢) الشريعة للآجري (٢١٦/١).

(٣) الشريعة (٢١٦/١).

(٤) الشريعة (١٨٢/١).

(٥) الشريعة (١٩٢/١).

(٦) الشريعة (١٩٣/١).

(٧)الاعتصام للشاطبي (٢/ ٨٥٠)

رابعا : درء التعارض بين النقل والعقل :

العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح . والدليل على ذلك أمور :

أ- أن الذي خلق العقل هو الذي أنزل الشرع فكيف يمكن أن يكون بينهما تعارض.

ب- أن الله تعالى في القرآن الكريم قد دعا في مواطن عديدة إلى استخدام العقل والنظر من خلاله إلى آياته وبيناته ليصل الإنسان إلى الإيمان بالله ورسله قال جل وعلا:﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾ محمد(٢٤) وقال تعالى: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**﴾ سبأ(٤٦).

ج - أن الله ﷻ قد أبان في مواطن عدة من كتابه أن سبب هلاك من هلك من أهل النار أنهم لم يستخدموا عقولهم الاستخدام الصحيح قال تعالى:﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ الملك(١٠) وقال:﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾ الأعراف(١٧٩). فلهذا لا يمكن أن يكون بين العقل الصحيح والنقل الصحيح تعارض بحال من الأحوال.

هذه أهم القواعد التي دل الشرع على التزامها في باب الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

مصادر التلقي عند المبتدعة إجمالا ، وموقف أهل السنة منها

المبتدعة خالفوا السلف وانحرفوا عنهم في العقيدة وما ذلك إلا لمخالفتهم لهم في المصادر التي اعتمدوها في تقرير العقيدة.

ويمكن تلخيص مصادر المبتدعة عموما في أصل واحد وهو : تقديم الآراء والأهواء والكشف ونحو ذلك على النقل والشرع في تقرير مسائل العقيدة . بيان ذلك:

أن المبتدعة بسبب اختلاف مشاربهم ومقاصدهم ولما لم يأتلفوا على كتاب الله تعالى

وسنة رسوله ﷺ صاروا أقوالا شتى متفرقة قد يجمعها بعض الأصول كما يجمع المتكلمين بعض الأصول ولكنهم يتفرقون كثيرا عند التفريعات.

وهكذا سائر المبتدعة من الخوارج والرافضة والصوفية لأن الأصول التي يلتقون عليها تصطدم دائما بالمقاصد والأهواء، فيتفرقون وينقسمون بسبب ذلك انقسامات داخلية وانشطارات متعددة تجعل الفرقة الواحدة لها مسمى واحد كبير لكنه يضم تحت مسماه فرقاً كثيرة متناحرة مختلفة.

وسنذكر مصادر التلقي عند المخالفين ونبين بطلانه.

أولا: المتكلمون

المتكلمون هم الذين يقررون مسائل العقيدة أو بعضها عن طريق الأدلة العقلية ومنهجهم في ذلك هو : **تقديم العقل على النقل**.

فتقديم العقل على النقل سمة ومنهج واضح ظاهر لدى الفلاسفة والمتكلمين، سواء كانوا جهمية أو معتزلة أو أشعرية أو ماتريدية، فكل هؤلاء في أبواب ضلالهم وانحرافهم عن الحق قدموا العقل على النقل بل كثير منهم لا يعتبر إمكانية الوصول إلى الحق إلا عن طريق العقل.

ومن الأمثلة على ذلك قول القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه "شرح الأصول الخمسة" ص ٨٨ : "الدلالة أربعة: حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل".

وقال الآيجي في المواقف وهو من الأشاعرة: "ما يتوقف عليه النقل مثل وجود الصانع ونبوة النبي مُحَمَّد ﷺ فهذا لا يثبت إلا بالعقل...ثم قال: الدلائل النقلية هل تفيد اليقين ؟ قيل لا. ثم قال بعد أن ذكر أن الدليل النقلي أي الشرعي يفيد الظن قال: لا بد من العلم بعدم المعارض العقلي، إذ لو وجد لقدم على الدليل النقلي قطعا"(١).

وقال الجويني الأشعري: "إنه إذا ورد الدليل السمعي مخالفا لقضية العقل فهو مردود

---

(١) المواقف ص: ٤٠١٢٩.

قطعا:"(١).

وقال الرازي وهو أشعري: "اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك...يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها" (٢).

فهذا شأن أهل البدع من المتكلمين والفلاسفة تقديم العقل على النقل واعتبار العقل الأصل والشرع فرع له ، لهذا عند التعارض لا يقيمون للنقل والشرع وزنا.

دليلهم :

المتكلمون عموماً قدموا العقل على النقل بدون أن يكون لهم أدنى دليل شرعي أو حتى دليل عقلي إنما قعدوا قاعدة فقالوا : إن العقل هو أصل الشرع فلهذا لا يستدل بالفرع على الأصل . وفي هذا يقول عبدالجبار المعتزلي في تعليله الإستدلال بالعقل دون الشرع في معرفة الله :" إن معرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل فلأن ما عداها فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله ، فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه ،كنا مستدلين بفرع الشيء على أصله وذلك لا يجوز ". (٣)

وكذلك قال الرازي بعد أن أوهم نفسه أنه يوجد تعارض بين العقل والنقل فجعل للخروج من هذا الإشكال أن يعتقد أن النص الشرعي غير صحيح أو يعتقد أن معناه غير صحيح وعلل ذلك بأن العقل هو الذي دلنا على صحة الشرع فبالتالي لا يمكن أن نقدم الشرع على العقل ، لأن الشرع عنده صار بذلك فرعاً والعقل أصلاً".(٤)

الرد عليهم :

لا شك أن المتكلمين قد اضطربت أفهامهم وفسد حسهم الديني ، حتى زعموا أن

---

(١) الإرشاد، ص: ٣٥٩-٣٦٠.

(٢) أساس التقديس ص:٢١٠.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص٨٨ .

(٤) انظر ما سبق ص وانظر أساس التقديس ص٢٢٠ .

العقل [1] مقدم على الشرع بدون أن يكون لهم أدنى دليل شرعي أو عقلي صحيح سوى الدعوى بأن العقل أصل والشرع فرع . وفساد هذه الدعاوي وبطلانها ظاهر من أوجه عدة:

أولاً ـ الرد عليهم في دعواهم أن العقل أصل والشرع فرع :

١- نسأل المتكلمين : ما هو العقل الذي يجعلونه مقدماً على الشرع ؛ هل هو عقل الفلاسفة اليونانيين الوثنيين أم عقول الجهمية ، أم عقول المعتزلة أم عقول الأشاعرة ؟ فهؤلاء جميعا يدعون العقل وهم مختلفون .فأي عقل من تلك العقول يزعم هؤلاء المتكلمون أنه مقدم على الشرع.

والواقع أنهم يقدمون عقل اليونانيين الوثنيين المشركين على كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ . فأي فساد في الدين أعظم من هذا وأي انحراف أكبر من هذا نعوذ بالله من الخذلان .

٢- إن معرفة الله تعالى والإيمان به ليس منوطاً بالأدلة العقلية كما يتوهم المتكلمون ، لأن معرفة الله والإقرار به قد جعله الله في فطر بني آدم ، كما أن جل الذين آمنوا من بني آدم إن لم يكن كلهم قد اهتدوا إلى الإيمان بدون أن يعرفوا تلك الأدلة ، كما أن الهداية هي من الله تعالى فليست منوطة بالعقل أو بالأدلة العقلية ، بل هي نور من الله يقذفه في قلب من شاء من عباده . فعلى هذا تكون دعوى المتكلمين إن الأدلة العقلية هي التي استدلوا بها على الله تعالى كاذبة خاطئة .

٣-إذا كان العقل دل المتكلمين على صحة الشرع وصدق الرسول ﷺ ، فإن الواجب عليهم هنا أن يسلموا للشارع وينقادوا لكلامه ، لأنه أمرهم بذلك ، وهم قد أقروا لله بالألوهية وللرسول عليه الصلاة والسلام بالرسالة . فيلزمهم بناء على ذلك أن لا يقدموا على كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ رأياً ولا هوى ولا قول أحد من الناس ، لأن الله أمرهم بذلك . وهذا مثل ما لو أن إنساناً كان في صحراء فتاه عن الطريق وهو يريد الذهاب إلى

---

(١) إن مراد المتكلمين بـ "العقل" هو الأدلة العقلية التي زعموا أنهم يثبتون بها وجود الله تعالى ، وهي أدلة فاسدة مأخوذة من الفلاسفة كدليل الحدوث ودليل الإمكان، وتلك الأدلة جعلوها أصلاً وحاكماً فما خالفها فهو مردود سواء من القرآن أو السنة ، وما وافقها فهو المقبول ، مع اختلافهم واضطرابهم فيها وفي لوازمها حتى صاروا مختلفين إلى جهمي ومعتزلي وأشعري .

منطقة معينة ، فلم يهتد للطريق فوجد رجلاً عرف من حاله وكلامه أنه خبير بالطريق الموصلة إلى البلدة التي يريد الذهاب إليها ، فطلب منه أن يرشده الطريق . فهل يليق بعد ذلك أن يعترض عليه ويأبى أن ينقاد إليه ؟ إنه إن فعل ذلك فهذا دليل على أنه لم يقر للرجل بأنه خبير بالطريق ، وفي ذلك طعن في حكمه على الشخص من قبل بأنه خبير بالطريق . فكذلك من لم يسلم لله ولرسوله بعد أن استدل على صحة وصدق الشارع ، فإن ذلك قدح في دلالة العقل وقدح في إيمانه ويقينه بأن الشارع صادق ناصح .

ثانياً – الرد عليهم بادعاء التعارض بين العقل والنقل :

المتكلمون يزعمون وجود تعارض بين العقل والنقل في المسائل التي خالفوا فيها الحق، وهذه دعوى غير صحيحة بنفسها ، ولا وجود لها إلا في عقولهم المريضة ، أما الواقع فإن العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح . والدليل على ذلك أمور :

أ- أن الذي خلق العقل هو الذي أنزل الشرع فكيف يمكن أن يكون بينهما تعارض.

ب- أن الله تعالى في القرآن الكريم قد دعا في مواطن عديدة إلى استخدام العقل والنظر من خلاله إلى آياته وبيناته ليصل الإنسان إلى الإيمان بالله ورسله قال جل وعلا:﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾ محمد(٢٤) وقال تعالى: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**﴾ سبأ(٤٦).

ج – أن الله ﷻ قد أبان في مواطن عدة من كتابه أن سبب هلاك من هلك من أهل النار أنهم لم يستخدموا عقولهم الاستخدام الصحيح قال تعالى:﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ الملك(١٠) وقال:﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾ الأعراف(١٧٩). فلهذا لا يمكن أن يكون بين العقل الصحيح والنقل الصحيح تعارض بحال من الأحوال.

ثالثاً – الرد عليهم في تقديم العقل على النقل في حال التعارض :

إن تقديم العقل على النقل في حال التعارض انحراف عن دين الله وفساد وهو باطل من عدة وجوه:

١- أن الله تعالى أمرنا باتباع كتابه وسنة نبيه ولم يأمرنا باتباع العقل كما لم يجعل اتباع الكتاب والسنة مشروطا بموافقة العقل وقبوله للأمر، فمن قدم العقل على الشرع أو قيد قبوله للشرع بموافقة العقل فقد افترى على الله ﷻ وقيد كلام الله وأمره بقيد من عند نفسه.

٢- أن تقديم العقل على النقل يؤدي إلى إبطال الشرع، وذلك أن العقول متفاوتة متباينة، وأصحابها أكثر الناس اختلافا، فيؤدي ذلك إلى أن كل صاحب مذهب منحرف وهدف سيئ يدعي أن الشرع مخالف لعقله فيبطل الشرع وتندرس معالمه.

٣- أن من زعم أنه لا يقبل الشرع إلا إذا وافقه العقل فيه شبه من إبليس حيث رد الأمر بما يرى أنه حجة عقلية، فقد أمره الله تعالى بالسجود، فاحتج على ذلك بأنه خير من المسجود له لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين فعارض الأمر بعقله فاستحق اللعن والإبعاد من رحمة الله.

٤ – إن الإيمان لا يثبت في القلب إلا بالتسليم والاستسلام للشرع ، أما معارضته بالشبه العقلية وعرضه عليها فإن ذلك مورث للشك والحيرة ، وهذا أمر معلوم مجرب ، وقد صرح به كبار أئمة الكلام ، حيث أكدوا أنهم قد أوقعوا أنفسهم في الحيرة والشك ، الذي نسأل الله العافية لا مخرج منه ، وذلك لأنهم قد هدموا يقينهم ، وخلخلوا عقيدتهم بالشبه العقلية والمناهج الفلسفية .

وفي هذا يقول مُحَّد بن عمر الرازي في كتابه الذي صنفه:" أقسام اللذات":

نهاية إقدام العقول عقال　　　وغاية سعى العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا　　　وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا　　　سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾، ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾، وأقرأ في النفي: ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾، ﴿ **ولا يحيطون به**

علما ﷺ. ثم قال: "ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"(١).

وقال أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتابه "نهاية الأقدام في علم الكلام"

لقد طفت في تلك المعاهد كلها   وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائرعلى   ذقن أو قارعا سن نادم "(٢)

وقال شمس الدين الخسروشاهي وقد دخل عليه بعض الفضلاء يوما فقال:"ما تعتقد؟ قال: "ما يعتقده المسلمون" فقال شمس الدين: "وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ فقال الرجل: نعم. فقال شمس الدين: "اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى اخضل لحيته".(٣)

فهذا فيه كفاية ومقنع لمن أراد الله هدايته.

ثانياً ـ الصوفية .

الصوفية من الفرق البدعية التي تتفاوت بدع منتحليها ، فمنهم من بدعته في الأوراد والأذكار ، وقد يتعدون ذلك إلى الغلو في المشايخ ومن يسمون الأولياء ، وقد يرفعونهم إلى مقام الربوبية والألوهية والعياذ بالله ، وقد يزيدون على ذلك بما هو أشد كفراً من ادعاء الحلول أو وحدة الوجود .

وقد اختلف أرباب هذه النحلة في تعريفها اختلافات كثيرة متفاوتة . والذي يظهر لي أن الصوفية جمعت أوضاعاً وأحوالاً متباينة يصعب معها إدراجها كلها تحت تعريف واحد بصفات متقاربة ، لأنها نحلة تضم في أتباعها من لهم إنتماء صحيح إلى الإسلام مع البدعة ، وفيهم من هو أشد كفراً من اليهود والنصارى ، وكلهم تحت هذا المسمى وهو التصوف . لهذا أرى أن يذكر تعريفاً يشمل ذلك كله بأن نقول : إن التصوف " مذهب أوله البدعة في الزهد

---

(١) شرح الطحاوية ، ص: ١٩٢.

(٢) نهاية الأقدام، ص: ٣.

(٣) شرح الطحاوية ص١٩٢ .

والرياضات النفسية والأوراد والأذكار ، ثم غلا بعض المنتسبين إليه فيه حتى صار غايته لديهم المكاشفات ودعاوى الحلول ووحدة الوجود" .

مصادر الصوفية في التلقي :

الصوفية على الضد من المتكلمين ، أولئك قدموا العقل ، وهؤلاء لا يقيمون للعقل وزناً ، وإنما مصدرهم فيما ابتدعوه تقديمهم لما يسمونه الكشف ونحوه على كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ .

ومرادهم بالكشف : الإطلاع على مايغيب عن علمهم أو مايحتاجون إليه من الأمور الدينية أو حتى الدنيوية عياناً أو سماعاً من قبل النبي ﷺ أو الخضر أو الهواتف أو الملائكة ونحو ذلك .[١]

فهذه الدعاوى التي يدعونها نأت وشطت بهم عن الكتاب والسنة ، حيث لايقيمون لاللكتاب ولاللسنة وزناً في مقابل تلك الدعاوى الفارغة .

قال داود الكبير بن ماخلا :" لاتقنع قط بسمعت ورويت بل شهدت ورأيت".

وقال أبو الحسن الشاذلي :" علوم النظر أوهام إذا قرنت بعلوم الإلهام ".

وقال إبراهيم الدسوقي :" ومقصودي لجميع أولادي أن يكونوا ذائقين لاواصفين، وأن يأخذوا العلوم من معادنها الربانية ، لامن الصدور والطروس ، فإن القوم إنما تكلموا عما ذاقوا " [٢]

ومن هذا الجنس كلام الغزالي في الإحياء عن علوم الأنبياء والأولياء فيقول:"فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لابالتعلم والدراسة والكتابة للكتب ، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ".[٣]

تفصيل مجمل لمصادرهم مع الرد عليها.

الصوفية يستدلون على دعاويهم المخالفة للشرع بما يسمونه بالكشف .

---

(١) مصادر التلقي عند الصوفية ص٢٠٧ بتصرف .

(٢) مصادر التلقي عند الصوفية ص٢١٢ .

(٣) إحياء علوم الدين ٢١/٣ .

وقد سبق أن بينا أن مرادهم بالكشف هو دعواهم أنهم يستندون على ما يؤيدون به دعاويهم المخالفة للشرع بما يبلغهم عن النبي ﷺ شفاها يقظة أو مناما أو الخضر ونحو ذلك .

وسنبين بطلان دعواهم فيما يزعمون في النقاط التالية:

أولا: دعواهم رؤية النبي ﷺ يقظة.

دعوى رؤية النبيﷺ يقظة دعوى مشتهرة عند الصوفية حيث يزعم كثير منهم الاجتماع به ﷺ يقظة، فمن ذلك قول الغزالي عن أرباب الأحوال: "حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا يقبسون منها فوائد".

وقال محمد العربي التجاني: "رؤيته ﷺ بعين الرأس في عالم الحس وما يتبعها من الأخذ عنه وسؤاله عما يعرض ومشاورته في الأمر ونحو ذلك كل ذلك ممكن عقلا ثابت نقلا....."

وقال الشعراني: "سمعت عليا الخواص يقول: لا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يجتمع برسول الله ﷺ.."

وقال الدباغ: "الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة فهو رؤية سيد الوجود ﷺ في اليقظة فهي أفضل من الجنة"[١].

ومن ذلك أيضا ما ذكره علي حرازم عن شيخه أحمد التجاني أنه قال: "أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما، قال لي: أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين إن مات على الإيمان وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب" ثم أجاز له ورده وضمن له أن من أخذ ذلك الورد التزمه وأحب التجاني ولم يسبه ولم يبغضه أنه في عليين. [٢] .وغير ذلك.

ويدل على بطلان دعواهم رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته ما يلي:

---

(١) مصادر التلقي عند الصوفية، ص: ٢٢٥-٢٢٧.

(٢) جواهر المعاني في فيض التجاني (١٢٩/١).

١-أن ذلك يتعارض مع قول الله تعالى:﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون**﴾الزمر(٣٠)وقوله: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**﴾ آل عمران(١٤٤)،كما يتعارض مع إجماع الصحابة على موته عليه الصلاة والسلام وخاصة بعد خطبة أبي بكر رضي الله عنه المشهورة: "من كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"[١].

٢ -أنها تتعارض مع الأحاديث التي تثبت بعثه عليه الصلاة والسلام يوم القيامة وهي قوله: " **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع** ".[٢] فمن ادعى أنه يراه يقظة فقد ادعى أنه بعث قبل يوم القيامة .

٣- أن ذلك يؤدي إلى أنه عليه الصلاة والسلام يحيا ويبعث من قبره مرات عديدة.

أما الاحتجاج بحديث " **الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**" [٣]، فهو احتجاج باطل لعدة أوجه:

أ- أن هذه حياة برزخية لا يعرف كنهها ولا كيفيتها فدعوى أنهم يلقونه ويجتمعون به يجعل ذلك من جنس الحياة العادية وذلك باطل.

ب- أن الوارد في الحديث أنه قال: (في قبورهم) فقيدها بذلك، فالحياة البرزخية تتقيد بذلك فدعوى أنهم أحياء بأجسادهم خارج قبورهم خلاف ما دل عليه الدليل.

ج- أن هذه الحياة من جنس الحياة التي ذكرها الله عز وجل للشهداء ولا أحد يقول أن الشهيد يلقاه الناس بجسده خارجا عن قبره بناءاً على الحياة التي خص بها.

د-أنه لم يؤثر عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم الالتقاء بالنبي ﷺ بعد موته مع شدة حاجتهم لذلك بسبب ما وقع بين بعضهم من الاختلاف وهم أصحابه وأنصاره وأصهاره عليه الصلاة والسلام.

---

(١) مختصر سيرة ابن هشام، ص:٣١١

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل: ٣٧/١٥

(٣) ابن عدي في الكامل (٧٩٢/٢) والبيهقي في حياة الأنبياء ،ص: ١٥ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٧/٢)، مصادر التلقي عند الصوفية، ص: ٣٤٦

٤-استدلال الصوفية بأحاديث غير صحيحة في هذا مردود غير مقبول ، وذلك مثل: " أنا أكرم على ربي أن يتركني في قبري بعد ثلاث" حديث غير صحيح قال عنه ابن حجر: "لا أصل له".[١] أو رواية "إن الله لا يترك نبيا في قبره أكثر من نصف يوم" قال ابن عبد الهادي: "حديث منكر غير صحيح"(٢) وكذلك سائر الروايات من هذا الجنس كلها أحاديث غير صحيحة كما صرح بذلك العديد من الأئمة فلا تقوم بها حجة.

ثانيا: رؤية النبي ﷺ مناما .

رؤية النبي ﷺ مناما أمر مشتهرعند الصوفية وهو مما يلصقون به كثيرا من دعاويهم وافتراءاتهم ، ومن ذلك دعوى ابن عربي في مقدمة كتابه "فصوص الحكم" الذي ضمنه وحدة الوجود بأوضح صورها قال: "فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرون [٣] وستمائة بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منا،فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان"[٤].

وكثيرا ما يعجز الصوفية عن إقامة الدليل على صحة دعوى من الدعاوى فيصححونها بالرؤى المنامية وهذا كثير جدا لديهم، فمن ذلك ما ذكر الصيادي أحد كبار الرفاعية في الاستدلال على صحة المولد أنه قال: "رأى أحد الصالحين النبي ﷺ فسأله عن قراءة المولد الذي يصنع من أجله فقال له: "من فرح بنا فرحنا به"[٥].

وكذلك إذا أرادوا تعظيم أحد أو بقعة زعموا ذلك أيضا فمن ذلك ما ورد عن الشيخ محمد البجلي أنه قال: "رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال: "وقوفك بين يدي ولي الله كحلب شاة أو استواء بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع

---

(١) فتح الباري (٧/٢٩٦)

(٢) الصارم المنكى ، ص: ٢٧١، مصادر التلقي ص: ٤١٤

(٣) هكذا كتبت في الكتاب.

(٤) فصوص الحكم، ص: ٤٧.

(٥) الرفاعية لعبد الرحمن، ص: ٢٠٤.

إربا إربا" (١).

ومن ذلك أن أحد مشايخ الرفاعية رأى في المنام خياما عظيمة على الطريق فسأل لمن هذه الخيام فقالوا: هذه لرسول الله ﷺ فدخل إليه وسلم عليه وقال: يا رسول الله إلى أين هذه الرحلة المباركة. فقال: "إلى قرية أم عبيدة [٢] لزيارة أحمد بن أبي الحسن الرفاعي"، ثم ذكر أيضا أن الكعبة أيضا جاءت تزور قبر الرفاعي فقام الرجل من نومه وهب ينادي في الناس ويحثهم على المبادرة إلى المسير إلى قرية الرفاعي حيث الرسول ﷺ والكعبة زائرون" [٣].

فهذه الدعاوى وغيرها كثير مما هو ديدن الصوفية يدل على أنهم اتخذوا دعاوى المنامات وسيلة للتشريع أو إباحة ما حرم الله ﷻ.

بيان بطلان دعاوى الصوفية في المنامات

رؤية النبي ﷺ قد ورد فيها أحاديث صحيحة منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي** " قال ابن سيرين :" إذ رآه في صورته". وعند مسلم زيادة: "أو **فكأنما رآني في اليقظة**". وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني** " [٤].

فرؤية النبي ﷺهي من ضمن المبشرات التي ذكر الرسول ﷺكما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة** " [٥].

فرؤيته ﷺ على حالة تسر المسلم أو يأمره بخير مما شرعه أو ينهاه عن شر مما نهى عنه فهذا حق يجب اتباعه اتباعا للشرع. ويكون الرؤيا المنامية دعوة خاصة أو بشارة خاصة. أما دعاوى الصوفية في الرؤيا والمنامات المخالفة للشرع فإنها باطلة مردودة على أصحابها لعدة أمور:

---

(١) الرفاعية، ص: ٢٠٨.

(٢) وهي قرية في العراق بين واسط والبصرة دفن فيها أحمد الرفاعي.

(٣) الرفاعية ص١٢٣ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (١٢/٤٠٠).

(٥) صحيح البخاري مع الفتح (١٢/٣٩١).

١. أن الرؤى والمنامات ليست حجة شرعية يمكن أن يثبت بها أمر شرعي فلم يرد في الكتاب ولا في السنة اعتبارها حجة وإنما هي تبشير وتنبيه، قال المعلمي في "التنكيل": "اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة وإنما هي تبشير وتنبيه وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية" (١).

٢. لا يمكن أن يأمر النبي ﷺ بخلاف شرعه الذي شرع، فمن ادعى أنه رأى رؤيا فيها خلاف شرع النبي ﷺ إما أن يكون كاذبا أو مخطئا في دعواه أن من رآه هو النبي عليه الصلاة والسلام .

٣. أن النائم ليس في حالة من يمكن تثبته من القول الذي يقال له فبا لتالي لا يمكن أن يعتبر قوله في مقابل الشرع الثابت ومساوي له، قال النووي رحمه الله : "حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون مستيقظا لا مغفلا ولا سيئ الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه" (٢).

٤. إثبات أذكار وأوراد وأمور متعلقة بالشرع بالمنامات والرؤى فيه طعن في الشرع بوصفه بالنقص وأنه احتاج إلى التكميل بتلك الدعاوى المرتبطة بالرؤى.

٥. أن جل الرؤى والمنامات المتضمنة لدعاوى مخالفة للشرع هي من باب تفصيل أوراد الطرق أو مشايخهم، وهذا كله يظهر أن للنفوس من وراء ذلك حظوظا ومقاصد خاصة برفعة الرائي لنفسه أو رفعة شيخه أو طريقته أو ما إلى ذلك، وهذا كاف في إبطال وردّ الدعاوى المتضمنة لذلك.

رؤية الخضر عند الصوفية ودعاويهم في ذلك :

يدعي كثير من الصوفية وغيرهم أن الخضر حي ، وأنه يلقى بعض الناس من مشايخهم فيستفيدون منه فوائد شرعية جلها فيما يزعمون من جنس مايعزونه إلى قول النبي ﷺ لهم يقظة بعد موته أو مناماً .

---

(١) التنكيل (٢/٢٤٣).

(٢) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي (١/١١٥).

ومن تلك الدعاوي ماذكر عبدالخالق الغجدواني النقشبندي : أن الخضر لقنه الوقوف العددي ، وعلمه الذكر الخفي ، وهو أنه أمره أن ينغمس في الماء ويذكر الله بقلبه لاإله إلا الله مُحَّد رسول الله ففعل كما أمر وداوم عليه فحصل له من الفتح القويم والجذبة القيومية".

وذكر أبو العباس المرسي : بأنه اكتسب من الخضر معرفة أرواح المؤمنين بالغيب هل هي معذبة أو منعمة ؟! .

ومنهم من يروي عن الخضر عن النبي ﷺ ، فمن ذلك ماروى الأيوبي المتوفى سنة١٣٦٤هـ بسنده عن الخضر قال ، قال رسول الله ﷺ : إذا رأيت الرجل لجوجاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته .

وهذا كله مبني على ثلاثة أشياء : أن الخضر حي ، وأنه يتصل بالناس ، وأن من اتصل بهم هو الخضر .

أما أن الخضر حي فلم يدل دليل صحيح على حياته عن النبي ﷺ . هكذا قال ابن حجر وابن كثير وغيرهم [1] .

كما أن مايروى من الأخبار والآثار في لقائه لبعض الصحابة أوالأخيار فهي آثار ضعيفة وواهية ولايسلم واحد منها من الطعن .

قال ابن المنادي : "وجميع الأخبار في ذكر الخضر واهية الصدور والأعجاز ، ثم قال: وأكثر المغفلين مغرور بأن الخضر باق والتخليد لايكون لبشر . قال ﷻ:﴿**وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾. (٢)

ودعوى حياة الخضر منقوضة بما يلي :

١-قوله تعالى :﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ (الأنبياء٣٤) . وكذلك قوله ﷺ -كما في حديث ابن عمر وجابر رضي الله عنهما:"**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لايبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد** ".[3] ، وقوله

(١) البداية والنهاية ٣٠٨/١ ، فتح الباري ٤٣٤/٦ ، وقد أطال عنه في الإصابة . والذي يظهر توقف ابن حجر فيه ١٠٠/٤ .

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ١٩٩/١ .

(٣) البخاري مع الفتح ٢٥٥/١ باب السمر في العلم .

عليه السلام :" **اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد في الأرض** ".[1] ولو احتج محتج بأن هذا العموم مخصوص بإبليس والدجال وكذلك عيسى بن مريم ، فإن الرد عليه بأن يقال هؤلاء خصصهم النص الصحيح ، أما الخضر فلم يرد فيه نص صحيح عن المعصوم عليه الصلاة والسلام .

٢- أن الله تعالى قال :﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ آل عمرن(٨١).قال ابن عباس ﷺ :" مابعث الله نبياً إلا أخذ الله عليه الميثاق لئن بعث مُحَمَّدﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه " . أخرجه البخاري .ولم يثبت أنه لقي النبي ﷺ ولاجاء إليه كما سبق ذكره عن العديد من علماء الحديث .

٣- إن الخضر اختلف في اسمه إلى مايقرب من ثلاثة عشر قولا ، وفي اسم أبيه كذلك ، واختلفوا هل هو ملك أم إنسان وهل هو نبي أم ولي وهل هو حي مخلد أم أنه مات ، كما اختلف الصوفية فيه هل هو شخص حقيقي أم مثال يتمثل لهم أم أنه مقام، بمعنى أن أحد الناس يرتقي في الولاية حتى يبلغ هذا المقام فيصبح يظهر للناس على أنه الخضر .

٤- إن رؤية الخضر ليست متحققة لكل أحد ، وإنما يظهر للبعض ولايظهر للبعض، فلو كان إنساناً فما الذي حجبه عن الناس ، وجعل رؤيته خاصة بمن ادعى ذلك أو ادعي له ذلك ؟! فهذا يدل على أن مايتراءى للناس في هذا إنما هو شيطان كذب عليهم في هذا وادعى ماادعى تلاعباً واحتيالاً . وهذا كله يدل على أن الخضر ليس حياً ، وادعاء ذلك ليس مبنياً على شيء ثابت في الشرع ، بل في الشرع مايرده ويبطله.

كما أنا لو سلمنا جدلاً بحياته ، فإن كل دعوى يدعيها الصوفية فيه ، أو أنها أخذت عنه مما يخالف الشرع مردود على مدعيه ، ولو كان الخضر بما يلي :

١-أن الله تعالى ورسوله ﷺ لم يأمرا بالرجوع إلى الخضر أو غيره سوى كلامه جل وعلا ، وسنة نبيه عليه السلام ، وسنة خلفائه الراشدين وإجماع المسلمين .

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٨٤/١٢ كتاب الجهاد ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

ولانجد في شيء من الشرع الرجوع إلى كلام الخضر والاستفادة منه بشيء مما يخالف الشرع . حتى المسيح عليه السلام حين منع الجزية إنما ذكر ذلك النبي ﷺ ، وكأنه إنما حرمها بإباحة الشارع له ذلك .

٢- أنه لوكان حياً فإنه سيكون فرداً من أفراد أمة محمد ﷺ ، ولايسعه الخروج عن شريعة النبي عليه السلام ، لعموم رسالة النبي ﷺ للجن والإنس . قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا** ﴾ سبأ (٢٨) .وقوله ﷺ :" **لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي**". (١)

كما أن من ادعى حياته إنما كما روي عنهم أنهم تراءى لهم شخص ، فإما قال لهم أنه الخضر ، أو وقع في خلدهم أنه الخضر .

وكل ذلك لايصلح مستنداً لإثبات أنه الخضر . فادعاء شخص أنه الخضر لايثبت ذلك مع الموانع المذكورة سابقاً ، وما وقع في الخلد والظن لايعدو أن يكون حدساً وظناً ، وذلك لايمكن أن يعارض به الأمور المتيقنة والمعاني الشرعية العامة.(٢)

ثالثاً: الرافضة

الرافضة من الشيعة الذين يغلون في حب علي وآل بيته ، ويقدمونهم على سائر الصحابة ويعتقدون الإمامة في اثنى عشر إماما من أولاد علي ،ويطعنون في الصحابة، بل يكفرونهم .

والرافضة كما هو معلوم فرقة من شر أهل البدع وأسفههم مقالاً ، فلا عقل لهم يعتمدون عليه ولا شرع ، حيث يزعمون الإمامة لإثنى عشر رجلا من آل البيت لم يتول منهم الإمامة فعلا إلا علي رضي الله عنه والحسن مدة ستة أشهر، ثم تركها وتنازل عنها، كما يزعمون عصمة أولئك الأئمة، وأنهم مشرعون يوحى إليهم، إلى غير ذلك من ترهاتهم وأكاذيبهم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٨٧/٣ ، وابن أبي عاصم في السنة مختصراً ، وقال الألباني في التعليق عليه : حديث حسن . انظر السنة ٢٧/١ .

(٢) ينظر في ذلك كله : البداية والنهاية ٣٠٨/١،وابن الجوزي في كتابه الموضوعات ١/ ، فتح الباري ٤٣٤/٦ ، والزهر النضر في نبأ الخضر ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، الإصابة ، مصادر التلقي عند الصوفية ص٢٥١ .

كما يطعنون في القرآن الكريم ويردون السنة كلها، ويبغضون أصحاب رسول الله ﷺ وزوجاته وسائر أئمة الدين، ولهم بدع ومقالات لا تكاد تلتقي مع المسلمين.وهم في توحيد الألوهية مشركون يعبدون القبور ويدعون أصحابها ويستغيثون بهم ويطوفون بقبورهم. (١)

وهم في الصفات والقدر مثل المعتزلة ينفون الصفات وينفون القدر.(٢)

منهج الرافضة في الإستدلال

الرافضة أصحاب هوى فقد ادعوا دعاوى ليس لها أصل في الكتاب أوالسنة،وبنوا عليها مذهبهم الذي يعود في أصله إلى دعوى الإمامة وتكفير الصحابة،فاخترعوا لذلك الأكاذيب الطويلة العريضة يدعمون فيها دعواهم.

وعمدة مذهبهم على الروايات المكذوبة المنسوبة إلى علي ﷺ وآل البيت الذين يزعمون إمامتهم، وحتى يحيطوا تلك الروايات بالتعظيم والقبول والإجلال ادعوا عصمة أئمتهم وأوليائهم.

قال المفيد من علماء الروافض المتقدمين: "إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء وأنهم لا يجوز منهم صغيرة – إلا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين ولا ينسون شيئا من الأحكام"(٣).

وقال مُحَمَّد المهدي الحسين: "وأقل ما يجب اعتقاده في الإمام وأحواله وصفاته أنه إمام مفترض من الله طاعته وحجيته وأنه جامع لصفات الإمامة وأنه أفضل الخلق إيمانا".

ويقول الزنجاني في كتابه "عقائد الإمامية الإثنى عشرية": "ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدا وسهوا كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ﷺ والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد

---

(١) انظر كشف الأسرار للخميني ص: ٤٩

(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر الرافضي (٥٨/١)

(٣) أوائل المقالات ص: ٧٦-٧٧.

بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق"(١).

نقض دعوى الروافض في عصمة أئمتهم :

الروافض يستقون ديانتهم ممن يزعمون عصمتهم من الأئمة الإثنى عشر لديهم ، وهذه دعوى منقوضة بأدلة عديدة :

١-أن الله تعالى ورسوله ﷺ لم يأمرا إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة ، فليس فيه نص صحيح بالرجوع إلى الأئمة الاثنى عشر .

٢-أن دعوى الإمامة وإمامة الإثنى عشر تحتاج إلى أدلة صريحة لإثباتها ، وليس في ذلك أدلة في هذا سوى دعاوى لادليل عليهم ، أو روايات مكذوبة على النبي ﷺ أو على أئمتهم .

٣- أن دعوى عصمتهم منقوضة بروايات عديدة وأحوال كثيرة مما ورد عن علي رضي الله عنه والحسن والحسين ، يكفي منها تمني علي رضي الله عنه الموت لما رأى الناس تتقاتل يوم الجمل ، وقال لابنه الحسن :" ياليت أباك مات قبل عشرين عاماً . وقد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية ، فلو كان إماماً حقاً فكيف يتنازل ، وليس جيشه وقتها بأقل من جيش معاوية ، فإما أن يكون تنازله حقاً فتنتقض دعوى الإمامة ، وإما أن يكون تنازله باطلاً فتنتقض دعوى العصمة .

والحسين بن علي لما أحاطت به جيوش الأمويين طلب منهم أحد إمور ثلاثة : إما أن يترك يعود من حيث خرج ، أو يذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين يقاتل حتى يقضي الله فيه ما شاء ، وإما أن يتركوه يذهب إلى يزيد حتى يضع يده في يده ويرى فيه رأيه، فأبوا عليه ذلك فقاتل حتى قتل رضي الله عنه .

فكل هذه الأمور ليس فيها مايشير إلى الإمامة أو الإستمرار في طلبها ، فإن كان محقاً في الخروج ؟ فطلب الإقالة يكون خطأً يتنافى مع العصمة ،وإن كان مخطئاً فى الخروج فذلك يتنافى مع دعوى الأحقية بالإمامة .

---

(١) إبراهيم الموسوي الانجاني، عقائد الإمامية الإثنى عشرية، ص: ١٧٩.

٤-أن أئمتهم المزعومين لم يتحقق بهم لاخير ولاشر ،ولاحاجة لدعوى العصمة فيهم، لإنهم لم يتول منهم سوى علي ﷺ لمدة خمس سنوات ،كلها حروب وفتن منذ توليه إلى قتله ﷺ . والحسن تولى لمدة ستة شهور فقط ، أما البقية فلم يتول أحد منهم شيئاً من الولاية ، لاالإمامة العظمى ولامادونها ولا حتى الإمامة في الدين، بحيث كان مرجعاً للمسلمين في الفتوى والعلم ، بل العديد منهم لايعرف بشيء من العلم والبروز فيه ،فبالتالي دعاوى العصمة التي يدعيها الرافضة لأئمتهم حتى يقيموا للناس الدين والملة دعاوى لاوجود لها في الواقع ولاقيمة لها .

٥- أن مايدعون من الإمامة والعصمة للأئمة متحقق بالنبي ﷺ وذلك كاف للأمة، وليس للأمة حاجة في عصمة أحد غير الرسول ﷺ وسلامة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فدعوى العصمة لكل أحد بعد ذلك لاحاجة إليها.

وبهذا كله يتبين بطلان دعاوى أهل الباطل بتقديم آرائهم وأهوائهم على كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، وأن هذا التقديم مجرد اعتداء وافتراء على الله ورسوله، وهو الذي أورث أصحاب تلك المقالات ذلك الإنحراف والبعد عن دين الله جل وعلا.

أ- مفهوم التوحيد في اللغة والشرع:

التوحيد في اللغة: هو مصدر من وَحَّدَ، ووحده: جعَلَه وَاحِداً والواحد هو الفرد وَالله الوَاحِدُ والأَوْحَدُ والأَحَدُ، والمتَوَحِّدُ: ذُوالوَحْدَانِيَّةِ والتَّوْحِيدُ: "الإيمان بالله عز وجل وحده لاشريك له".[١]

قال قوَّام السُّنة الأصبَهانيُّ[٢] رحمه الله:" والتَّوحيدُ: على وزن التفعيل، وهو مصدرُ وحَّدته توحيداً، كما تقول: كلمته تكليماً، ومعنى وحدته: جعلته منفرداً عمَّا يشاركه، أو يشبهه في ذاته وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة، أي: بالغت في وصفه بذلك"[٣]

والتوحيد شرعاً: هو **اعتقاد أن الله تعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته لامثيل له، وواحد في ربوبيته لاظهير له ولامعين، وواحد في ألوهيته وعبادته لا شريك له.**

فهذا التعريف تضمن اعتقاد وحدانية الله عز وجل من جميع الوجوه:

فهو واحد في ذاته لاولد له ولا والد ، وليس ثلاثة كما يدعي النصارى، تعالى الله عن ذلك ،وليس كما يدعي أهل وحدة الوجود من أن الله هو هذا الكون من حولنا متوزع في ذراته تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، وهو سبحانه واحد في أسمائه وصفاته لا مثيل له في شيء من صفاته ، فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهو سبحانه واحد في ربوبيته لا معاون له ولا ظهير ولا مساند ولا معين لا في الخلق ولا في التدبير.

كما يتضمن التعريف وجوب إخلاص العبادة له وحده لاشريك له، إذ لامعبود بحق سواه.

فاشتمل تعريف التوحيد بهذا على كل مايتعلق بالإيمان بالله عز وجل لذا قال الزبيدي في تعريف التوحيد: بأنه "الإيمان بالله عز وجل وحده لاشريك له"[٤].

وقد وردت هذه الكلمة في نصوص الشرع ومن ذلك :

---

(١)تاج العروس للزبيدي (٩/ ٢٦٦)

(٢) إسماعيل بن مُحَّد بن علي، أبو القاسم الطلحي الأصبهاني، كان إماماً في الحديث والتفسير واللغة حافظاً متقناً، توفي سنة ٥٣٥ هـ، تراجع ترجمته في: البداية والنهاية ٢١٧/١٢.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٣٠٥/١.

(٤)تاج العروس للزبيدي (٩/ ٢٦٦)

١- ما جاء في صفة حج النبي الكريم ﷺ:فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صفة حجة الرسول ﷺ " قال: **"ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهل بالتوحيد «لبيك اللهم، لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك» وأهل الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئا منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته."**[(١)].

٢-وعن جابر رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: " **يعذب ناس من أهل التوحيد في النار، حتى يكونوا حمما فيها، ثم تدركهم الرحمة، فيخرجون، فيلقون على باب الجنة، فيرش عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة "**[(٢)]

٣-عن عائشة رضي الله عنها قالت: **كان رسول الله ﷺ: إذا ضحى اشترى كبشين عظيمين، سمينين أقرنين، أملحين موجوئين**[(٣)] **قال: فيذبح أحدهما عن أمته ممن أقر بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، ويذبح الآخر عن محمد، وآل محمد ﷺ"**[(٤)].

٤-وعن يسيرة رضي الله عنها وكانت إحدى المهاجرات[(٥)] قالت: **قال رسول الله** ﷺ: **"عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن فتنسين التوحيد، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات"** [(٦)]

فهذه الكلمة مستخدمة في الشرع وقد استخدمها أهل العلم بكثرة ومن ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه قال: **«القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله عز وجل وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: ١٢١٨. أخرجه الامام أحمد في مسنده برقم :١٥١٩٨، والترمذي في سننه، برقم: ٢٥٩٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: ١٢١٨. أخرجه الامام أحمد في مسنده برقم :١٥١٩٨، والترمذي في سننه، برقم: ٢٥٩٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أي: خَصِيَّيْن. النهاية في غريب الأثر (٥/ ١٥٢)

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٠/٦، قال محققو المسند: صحيح لغيره، ينظر: المسند المحقق: ٣٧/٤٣.

(٥) أمّ ياسر ويقال بنت ياسر الأنصاريّة، وتكنى أم حميضة. أسلمت وبايعت وروت حديثا. الاصابة في تمييز الصحابة، برقم ١١٨٨٦

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم : ٢٠٠٧

التي لا انفصام لها، ومن وحد الله تعالى وكذب بالقدر نقض التوحيد»[1].

وقال ابن كثير رحمه الله في قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾الأنفال: ٣٩ قال الضحاك، عن ابن عباس في هذه الآية، قال: يخلص التوحيد لله".[2]

وقال المزني[3]: سمعت الإمام الشافعي يقول:"سئل مالكٌ عن الكلام والتَّوحيد، فقال: مُحالٌ أن نظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّم أمَّته الاستنجاء، ولم يعلِّمهم التَّوحيد، والتَّوحيدُ ما قاله النبي ﷺ:"أمرتُ أن أقاتل النَّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله"، فما عصم به الدَّم والمال حقيقة التوحيد"[4].

وقد جعل البخاري رحمه الله (ت:٢٥٦)آخر كتاب في صحيحه كتاب التوحيد وجعل أول باب فيه : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وجعل أول حديث فيه "بعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمن" وثاني حديث فيه قوله ﷺ " «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا... » ثم عقبه بأحاديث وأبواب تتعلق بأسماء الله وصفاته، وعقب على ذلك أيضا بباب في خلق السموات والأرض . ولا شك أن ذلك منه فقها عظيما وتنبيها على أنواع التوحيد الثلاثة وأهمية توحيد الألوهية حيث بدأ به كتاب التوحيد.

وألف الدارمي (ت٢٨٠) كتابه في الرد على المريسي وسماه "نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد

وألف بعدها بوبكر ابن خريمة (ت :٣١١هـ)رحمه الله، كتابه التوحيد وسماه" كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل"

وقال ابو جعفر الطحاوي (ت٣٢١) في بداية عقيدة أهل السنة والجماعة والتي ألفها وفق عقيدة أبي حنيفة وصاحبيه:"

"نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولاشيء

---

(١)القدر للفريابي (ص١٦٠) رقم (٢٠٥)

(٢)تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦)

(٣) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني، صاحب الإمام الشافعي، العلامة الشهير، توفي سنة ٢٦٤ هـ، تراجع ترجمته في: طبقات فقهاء الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٧/١، ووفيات الأعيان ٢١٧/١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٦/١٠.

يعجزه ولا إله غيره"[1] فابتدأها بأنواع التوحيد الثلاثة.

فكلمة التوحيد المعبرة عن حقيقة الإيمان بالله عز وجل هي كلمة شرعية ومتداولة بين أهل العلم.

تقسيم التوحيد وأدلته وفائدته،

تنوَّعت طرق علماء أهل السنة والجماعة في ذكر أقسام التوحيد،

فمنهُم من قسَّمه إلى قسمين.

– ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام.

والسَّببَ في ذلك هو أنَّ تلك التَّقسيماتِ مأخوذةٌ من استقراء النُّصوص، ولم يُنصَّ عليها باللَّفظ مباشرةً[2]، وفيما يلي ذكر تلك التقسيمات:

أوَّلاً: تقسيمُ التَّوحيد قسمةً ثنائيَّة:

قسَّم جماعة من علماء أهل السنة والجماعة التوحيد قسمةً ثنائية، وقد تنوعت عباراتهم في التعبير عن ذينك القسمين على النحو التالي:

منهم من قال :توحيد المعرفة والإثبات. وتوحيد القصد والطلب:

وهناك تقسيمات أخرى ثنائية ؛ذكرها مجملة الشيح فالح بن مهدي رحمه الله حيث قال:

عن توحيد الألوهية:" يسمى أيضا التوحيد الطلبي الإرادي، وتوحيد العبادة، وتوحيد الألوهية. والتوحيد الفعلي نسبة إلى أفعال العباد، وتوحيد القصد والعمل، فهذه كلها ألقاب لهذا النوع"

وقال عن توحيد الربوبية :" ويسمى هذا النوع، التوحيد العلمي، القولي والعلمي الخبري. وتوحيد الربوبية، والأسماء والصفات وتوحيد المعرفة والإثبات"[3]

---

(١)متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٣١)

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، ص: ٤٢.

(٣)التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (١/ ٢٣)

ثانياً: تقسيمُ التَّوحيد ثلاثة أقسام:

من علماء أهل السُّنة والجماعة من قسَّم التَّوحيد إلى ثلاثةِ أقسامٍ، وهذه الأقسام هي:

١- توحيد الربوبيَّة: وهو إفراد الله بأفعاله من الخلق والملك والتدبير[١].

٢- توحيد الأسماء والصِّفات: وهو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها[٢].

٣- توحيد الألوهيَّة: وهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التعبدية الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان[٣].

وهذه الأقسام قد دلَّ عليها استقراء نصوص الكتاب والسنة، فقد استقرأ العلماء نصوص الكتاب والسنة فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاث.

قال الشيخ مُحَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله:"وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأوَّل: توحيدُه في ربوبيَّته...الثاَّني: توحيدُه جلَّ وعلا في عبادته...النوع الثاَّلث: توحيدُه جلَّ وعلا في أسمائه وصفاته"[٤].

وقال الشيخ مُحَّد بن صالح بن عثيمين رحمه الله: "وأنواع التوحيد بالنسبة لله ﷻ تدخل كلها في تعريف عام، وهو:(إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به)، وهي حسب ما ذكره أهل العلم ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الألوهية.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وعِلمُوا ذلك بالتَّتبُّع والاستقراء، والنظر في الآيات والأحاديث، فوجدوا أنَّ التَّوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثَّلاثة؛ فنوَّعُوا التَّوحيد إلى ثلاثة أنواعٍ"[٥].

---

(١) القول المفيد ١/٥، ومعتقد أهل السنة، ص: ٤٢.

(٢) معتقد أهل السنة، ص: ٣١.

(٣) أعلام السنة المنشورة، ص: ٥١، ومعتقد أهل السنة، ص: ٤٢.

(٤) أضواء البيان ٣/٤١٠-٤١٤.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العلامة ابن عثيمين ١/١٧-١٨.

أدلة تقسيم التوحيد ومن قال به من أهل العلم المتقدمين :

إن تقسيم التوحيد هو من جنس تقسيمات أهل العلم المتعلقة بالدين وهو مستنبط من دلالات النصوص الشرعية وهو مايسميه أهل العلم الإستقراء وقد سبق أن ذكرنا عن الشيخ الأمين الشنقيطي وعن الشيخ ابن عثيمين النص على أن التقسيم مستفاد من الإستقراء للنصوص الشرعية والحقيقة الشرعية أن الأمر كما قال ابن القيم رحمه الله :

بل نقول قولا كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[(١)].

١-: دلالةُ أول سور القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة على أقسام التَّوحيد الثَّلاثة:

دلَّت سورةُ الفاتحة -التي هي أعظم سورة في القرآن الكريم- على أقسام التوحيد الثلاثة

قال العلاَّمة ابنُ سعدي رحمه الله:"فهذه السُّورة -على إيجازها- قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورةٌ من سور القرآن، فتضمَّنت أنواع التَّوحيد الثَّلاثة:

توحيد الربوبيَّة: يؤخذ من قوله: (رب العالمين).

وتوحيد الإلهيَّة: وهو إفراد الله بالعبادة؛ يؤخذ من لفظ: (الله)، ومن قوله: (إياك نعبد).

وتوحيد الأسماء والصِّفات: وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تعطيلٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ، وقد دل على ذلك لفظ: (الحمد)[(٢)] كما دل على ذلك أيضا قوله تعالى (الرحمن الرحيم).

---

(١)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤١٧)

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣٧/١.

٢- دلالة قوله تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مريم: ٦٥ فهذه الآية الكريمة قد حوت أنواع التوحيد الثلاثة

توحيد الربوبية في قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما)

توحيد الألوهية في قوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته)

توحيد السماء والصفات في قوله تعالى (هل تعلم له سميا)

قال القرطبي رحمه الله :"قوله تعالى: (رب السماوات والأرض وما بينهما) أي ربهما وخالقهما وخالق ما بينهما ومالكهما ومالك ما بينهما، فكما إليه تدبير الأزمان كذلك إليه تدبير الأعيان. (فاعبده) أي وحده لذلك... وحقيقة العبادة الطاعة بغاية الخضوع ولا يستحقها أحد سوى المالك المعبود. (واصطبر لعبادته) أي لطاعته ..(هل تعلم له سميا) قال ابن عباس: يريد هل تعلم له ولدا أي نظيرا ، أو مثلا أو شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن". [١]

وقال المراغي في تفسير الآية :" وإذ قد علمت أنه الرب المسيطر على ما فى السموات والأرض وما بينهما، القابض على أعنّتهما، فاعبده ودم على مشاقّ العبادة وشدائدها، ..ثم أكد الأمر بالعبادة بقوله:(هل تعلم له سميا؟) أي هل تعلم له شبيها ومثلا يقتضى العبادة لكونه منعما متفضلا بجليل النعم وحقيرها، ومن ثم يجب تعظيمه غاية التعظيم بالاعتراف بربوبيته، والخضوع لسلطانه؟"[٢].

٣-دلالة آخر سورة في القرآن الكريم على أنواع التوحيد الثلاثة وهي سورة الناس ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ الناس: ١ - ٣

فتوحيد الربوبية واضح في قوله تعالى (رب الناس)

وتوحيد الأسماء والصفات واضح في قوله تعالى (ملك الناس)

وتوحيد الألوهية واضح في قوله تعالى (إله الناس)

فكما بدأ سبحانه كتابه بأنواع التوحيد الثلاثة في سورة الفاتحه ختمه بأنواع التوحيد الثلاثة في سورة الناس .

---

(١)تفسير القرطبي (١١/ ١٣٠)

(٢)تفسير المراغي (١٦/ ٧٢) وانظر : تفسير السعدي (ص: ٤٩٨)

قال المراغي رحمه الله : وإنما قدم الربوبية، لأنها من أوائل نعم الله على عباده، ثم ثنى بذكر المالكية لأن العبد إنما يدرك ذلك بعد أن يصير عاقلا مفكرا، ثم ثلّث بذكر الألوهية، لأن المرء بعد أن يدرك ويعقل يعلم أنه هو المستوجب للخضوع والعزة والمستحق للعبادة".[1]

وهذه الأنواع الثلاثة للتوحيد كما سبق ذكره عن ابن القيم رحمه الله قد اشتمل عليها القرآن الكريم فكله فيها وفي حقوقها ومقتضياتها ومن الصعب استقصاء ذلك كله هنا فنكتفي بما ذكر في ذلك.

كما نص الكثير من أهل العلم على تقسيم التوحيد من خلال كتابتهم في العقيدة فهذا

فهذا البخاري (ت:٢٥٦) **رحمه الله** قد جعل آخر كتاب في صحيحه كتاب التوحيد وجعل أول باب فيه : باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وجعل أول حديث فيه "بعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمن" وثاني حديث فيه قوله ﷺ " «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟»»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا... » ثم عقبه بأحاديث وأبواب تتعلق بأسماء الله وفيها إثبات الصفات وعقب على ذلك أيضا بباب في خلق السموات والأرض .ولا شك أن ذلك منه رحمه الله فقها عظيما وتنبيها على أنواع التوحيد وأهمية توحيد الألوهية حيث بدا به كتاب التوحيد.

الإمام الطحاوي (ت٣٢١) رحمه الله أبان في مقدمة عقيدته أنه إنما يذكر عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة ، أبي حنيفة وتلميذيه أبي يوسف ومُحَّد بن الحسن ، وقال :" نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لاشريك له ولاشيء مثله ولاشيء يعجزه ولاإله غيره".

فقوله " واحد لاشريك له " شامل لأنواع التوحيد الثلاثة ، ثم فصلها بقوله " لاشيء مثله" ، وهذا في أسمائه وصفاته .وقوله " ولاشيء يعجزه" هذا في قدرته ومقدوراته ، وهو من توحيد الربوبية ، وقوله " ولاإله غيره "هذا في توحيد الألوهية ، فلا إله غيره يعني معبوداً يستحق العبادة

---

(١)تفسير المراغي (٣٠/ ٢٧٠)

وهذا ابن بطة العكبري (ت٣٨٧) رحمه الله يقول في كتابه الإبانة :" إن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها : أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لايثبتون صانعاً.

والثاني : أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره . الثالث : أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لايجوز إلا أن يكون موصوفاً بها ".

وممن أثبت ذلك ايضاً ابن منده (ت٣٩٥)رحمه الله ، في كتابه " كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته على الإتفاق والتفرد" ، فعقد فيه أبواباً في توحيد الربوبية ، مثل : بدء الخلق ، وخلق العرش ، وتقدير المقادير ، وخلق السموات والأرض ، وغير ذلك مما هو دليل على توحيد الربوبية . ثم ذكر أبواباً متعلقة بتوحيد الألوهية ، مثل : الدعاء والذكر واسم الله الأعظم ، وهو لفظ الجلالة ، ثم ذكر أبواباً متعلقة بتوحيد الأسماء والصفات ،وغيرهم كثير. [١]

العلاقةُ بين أقسام التَّوحيد:

إن العلاقة بين أقسام التَّوحيد الثَّلاثة -الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات-، هي: علاقةُ تلازمٍ، وتضمُّنٍ، وشُمولٍ؛ (فتوحيد الربوبيَّة مستلزمٌ لتوحيد الألوهيَّة، وتوحيدُ الألوهيَّة متضمِّنٌ لتوحيدِ الربوبيَّة، وتوحيدُ الأسماء والصفات شاملٌ للنَّوعين)[٢]؛ فمن آمن بتوحيد الربوبية لزمه الإيمان بالألوهية، ومن كان مؤمناً بالألوهية إيماناً حقيقياً كان ذلك متضمناً إيمانه بالربوبية، والإيمان بتوحيد الأسماء والصفات شاملٌ للتوحيدين باعتبار دلالة الأسماء والصفات على معاني الربوبية والألوهية.

---

(١)من أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتاب القيم في هذا ،كتاب أ.د عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد " القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد".

(٢) معتقد أهل السنة، ص: ٤٧.

فأقسامُ التَّوحيد الثَّلاثة متلازمةٌ يكمِّل بعضُها بعضاً، ولا ينفكُّ قسمٌ منها عن الآخر،[1] فيجب الإيمان بها جميعاً على ما ورد في الكتاب والسنة، ومن جاء بقسمٍ منها دون الآخرَين لم ينفعهُ ذلك، ومن أشركَ في قسمٍ منها فهو مُشركٌ في البقيَّةِ.

توحيد الربوبية:

معنى توحيد الربوبية

أ-معنى الربوبية:

الربوبية مشتقة من الرب وهو اسم من أسماء الله تعالى، ومعنى الرب: المالك، والخالق،. والرب: المصلح للشيء. يقال رب فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها. والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه وَالْمَالِك وَالسَّيِّد والمدبر والمربي والقيم والمنعم. ورب كل شيء: مالكه ومستحقه؛ وقيل: صاحبه. ويقال: فلان رب هذا الشيء أي ملكه له. وكل من ملك شيئا، فهو ربه. يقال: هو رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال.[2]

إطلاق كلمة رب على المخلوق؟

الرب: بالألف واللام غير مضاف لا يطلق إلا على الله تعالى، ولم يرد مثل هذا الإطلاق في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة كقوله ﷺ " يقال لجهنم: هل امتلأت، وتقول هل من مزيد، فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها، فتقول: قط قط "[3]

وعن ابن عباس، قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له، ألا

---

(١) انظر : درء التعارض ٣٤٤/٩ ، شرح الطحاوية ٤١/١ ، معارج القبول ٢٥٥/١ . وقد جعل الأنواع الثلاثة متلازمة ، وانظر : الكواشف الجلية ص٤٢١ ، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص٤٧ ، حيث جعلا توحيد ألاسماء والصفات شاملاً لتوحيد الربوبية والألوهية .

(٢)مقاييس اللغة لابن فارس(٢/ ٣٨١) تهذيب اللغة للأزهري (١٢٨/١٥) النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير (٢/ ١٧٩) مختار الصحاح (ص: ١١٦) لسان العرب (١/ ٣٩٩)

(٣)صحيح البخاري (٦/ ١٣٨)

وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»[1]
وقد جاء في الشعر مطلقا على غير الله تعالى، وليس بالكثير.[2]

وغالب وروده في القرآن الكريم مقصودا به الله عز وجل مضافاً ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢ ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الشعراء: ٢٦ ونحوها.

وورد في القرآن الكريم في موضعين قوله تعالى ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ يس: ٥٨ و قوله تعالى ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ سبأ: ١٥
وإذا أطلق كلمة "رب" على غير الله عز وجل أضيفت، فيقال رب كذا.

وقد وردت مقصودا بها غير الله عز وجل مضافة في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ يوسف: ٤٢ ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾يوسف: ٤١
كما وردت في السنة في قوله ﷺ عن ضالة الإبل :«ما لك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء، وتأكل الشجر، دعها حتى يجدها ربها»[3]
وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال: " لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقة، ويدعى إليه الرجل فيقول: لا أرب لي فيه "[4]
كما ورد في السنة النهي عن اطلاق كلمة رب مضافة إلى الإنسان فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "«لا يقل أحدكم اسق ربك، أطعم ربك، وضئ ربك، ولا يقل أحدكم ربي، وليقل سيدي مولاي»[5]

---

(١)صحيح مسلم (١/ ٣٤٨)
(٢)النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير (٢/ ١٧٩) مختار الصحاح (ص: ١١٦)
(٣)صحيح البخاري (٣/ ١٢٧) صحيح مسلم (٣/ ١٣٤٩)
(٤)صحيح مسلم (٢/ ٧٠١)
(٥)صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٥)واللفظ له، صحيح البخاري (٣/ ١٥٠)

فهذا يدل على أن إضافة رب الى المكلف غير جائز في شريعتنا لورود النهي عن ذلك حماية لجناب التوحيد، وأن ما ورد في القرآن في سورة يوسف من ذلك إما على أنه مجاراة للمتعارف عندهم، أو أن ذلك جائز في شريعتهم مثل السجود الذي حكاه الله عز وجل ليوسف في قوله﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾يوسف: ١٠٠ الا أن ذلك غير جائز في شريعتنا.

أما إضافتها لغير المكلفين كرب الدار ورب الدابة فذلك جائز لأنها غير مكلفة ولا يظن بالحيوانات خاصة التحول عن فطرتها[١].

معنى توحيد الربوبية

توحيد الربوبية هو :اعتقاد ان الله هو وحده هو الخالق الرازق المالك والمنعم والمدبر لشؤن خلقه لاشريك له ولاند ولامعين ولاظهير

أو هو ان تقول: توحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق والملك والإحياء والإماتة والتدبير والإنعام.

وتعبيرات أهل العلم عن هذا النوع من التوحيد متقاربة

فقد قال ابن القيم رحمه الله: "توحيد الربوبية المتضمن أنه وحده الرب الخالق الفاطر"[٢]

وقال الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله :

"توحيد الربوبية فعل الرب، مثل الخلق والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر وإنبات النبات، وتدبير الأمور"[٣]

وقال الصنعاني رحمه الله : توحيد الربوبية والخالقية والرَّازقية ونحوها، ومعناه: أنَّ الله وحده هو الخالق للعالَم، وهو الرَّبُّ لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مُقرُّون به[٤].

---

(١) انظر :النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٧٩) فتح الباري لابن حجر (٥/ ١٧٩) شرح سنن النسائي ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٢/ ٩٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤١)

(٢)بدائع الفوائد (٤/ ١٣٢)

(٣)مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) (ص: ٣٧١)

(٤)تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص: ٥٠)

وقال السفاريني رحمه الله :" فتوحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق، ولا محيي ولا مميت، ولا موجد ولا معدم إلا الله تعالى." [1]

ويلاحظ في هذا النوع من التوحيد تعلقه بالعلم والاعتقاد لهذا سماه بعض أهل العلم التوحيد العلمي الخبري وبعضهم قال توحيد المعرفة والإثبات[2]

أدلة توحيد الربوبية:

إن الربوبية هي قاعدة الألوهية وهي الأصل في الألوهية فلا ألوهية بدون الربوبية والألوهية أي العبادة هي الغاية من خلق الجن والإنس كما قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ فإذا كانت الألوهية بهذه الأهمية فموجبها ومقتضاها ودليلها وهو الربوبية بنفس الدرجة من الأهمية فلذا كان من رحمة الله ﷻ أن جعل البراهين على الربوبية قطعية ظاهرة لكل ذي عينين لاتخفى إلا على من لم يرد أن يرى ويبصر ويلتزم بلازمها وهي الألوهية.

والدلائل على الربوبية متنوعة كأصول، ومتفرع عن تلك الأصول مئات بل الوف بل ما لا يمكن فيما أرى حصره من الأدلة إذ الأمر كما قيل :

فيا عجبا كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة..........   علينا وتسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية ...   تدل على أنه واحد[3]

والدلائل على الربوبية كثيرة نذكر منها :

الدليل الأول :الفطرة :

الفطرة لغة : هي الخلقة .[4]

---

(١)لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٨)وانظر في التعريف : تاج العروس (٩/ ٢٧٦) تفسير المراغي (١٢/ ١٠٢)

(٢)قد سبق ذكر ذلك عند ذكر تقسيم التوحيد.

(٣)نقلا عن صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (١/ ١٤١) والأبيات لأبي العتاهية.

(٤) اللسان ٣٤٣٣/٥ .

والمراد بدليل الفطرة: أن الله تعالى خلق العباد مفطورين على الإقرار به، واعتقاد أنه خالقهم وربهم ومعبودهم . وهذا هو المروي عن كثير من السلف ، فقد روى ابن جرير الطبري بسنده أن عمر رضي الله عنه مر بمعاذ بن جبل فقال :" ما قوام هذا الأمة ؟ قال معاذ : ثلاث وهن المنجيات : الإخلاص ، وهو الفطرة ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الروم (٣٠)، والصلاة : وهي الملة ، والطاعة : وهي العصمة ، فقال عمر : صدقت .

وروى عن مجاهد أنه قال : فطرة الله الإسلام ".[١] وهو قول أكثر السلف.[٢] وقد دل على ذلك أدلة عديدة ، منها :

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٢.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قال: "**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان –يعني عرفه– فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال: "ألست بربكم" قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**".[٣]

و في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، أن الله أخذ عليهم الميثاق بالإقرار له بالربوبية والألوهية فقال:" فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرَضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم: أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا! اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئًا، وأني سأرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي، وسأنزل عليكم كتبي! قالوا: شهدنا أنك ربُّنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. فأقرُّوا له يومئذٍ بالطاعة" [٤]

---

(١) تفسير ابن جرير ٤٠/٢١ .

(٢) انظر شفاء العليل ٢٩٧/٢-٣١٥ ، وانظر القائد إلى تصحيح العقائد ص١٨ .

(٣) حم (٢٧٢/١) وذكر ابن كثير في تفسيره (٢٤١/٢) روايات عديدة في هذا المعنى ورجح وقفها على ابن عباس رضي الله عنه .

(٤)تفسير الطبري (١٣/ ٢٣٨) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٥)

ومن الأدلة على أن الفطرة هي الإسلام أو الإقرار لله عز وجل بالربوبية والألوهية قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠

وكذلك حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**".[(١)]

وحديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته:" **ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا** ..."[(٢)] الحديث.

فهذه الأدلة تدل على أن الخلق مفطورون على الإقرار بالخالق وأنه ربهم وخالقهم ومعبودهم وأنهم تتغير فطرهم تلك بما يحرفهم إليه آباؤهم من اليهودية والنصرانية وغيرهما .

والمقصود هنا في الفطرة الإسلام الذي هو الإقرار لله بالعبودية وبهذا فسرها أهل العلم من السلف قال ابن حجر رحمه الله: " وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام قال بن عبد البر وهو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب اقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم"؛ الحديث، وقد رواه غيره فزاد فيه "حنفاء مسلمين" ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى "فطرة الله" لأنها إضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام"[(٣)]

وقال ابن قتيبة رحمه الله : وأراد بقوله: "كل مولود يولد على الفطرة" أخذ الميثاق الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ١٧٢

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، فتح الباري (٢٤٦/٣)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة، باب ١٦ (٢١٩٧/٤)، وأحمد (١٦٢/٤).

(٣)فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٨) وانظر قول ابن عبدالبر رحمه الله في الاستذكار (٣/ ١٠٢)

فلست واجدا أحدا إلا وهو مقر بأن له صانعا ومدبرا، وإن سماه بغير اسمه، أو عبد شيئا دونه، ليقربه منه عند نفسه، أو وصفه بغير صفته، أو أضاف إليه ما تعالى عنه علوا كبيرا، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾الزخرف: ٨٧ فكل مولود في العالم على ذلك العهد والإقرار، وهي الحنيفية التي وقعت في أول الخلق، وجرت في فطر العقول، قال رسول الله ﷺ : "يقول الله تبارك وتعالى: إني خلقت عبادي جميعا حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم" ثم يهود اليهود أبناءهم، ويمجس المجوس أبناءهم، أي يعلمونهم ذلك"(١).

فيكون بهذا مافطر عليه الإنسان من الإقرار بالخالق والعبودية له والمحبة له دليلا على الربوبية ، وهذه أقصر الطرق وأقربها والصقها بالإنسان فهي معجونة في طينته وداعيها والمحرض عليها جزء من تكوينه وخلقته، فالأمر الموجب للإقرار بالربوبية ودافعه وباعثه مركوز في البشر عموما قبل أن يولدوا وهو معهم بعد أن يولدوا .

الدليل الثاني: دليل الآيات:

المراد بدليل الآيات ، هي العلامات الدالة على ربوبية الله تعالى ،

والمقصود هنا هو: الدلالات الباهرة والعلامات الواضحه وعجيب الموجودات وغريب المصنوعات وصريح الدلالات على الرب الخالق الموجد الذي جعل في الكل دلائل وجوده وبراهين ربوبيتة وألوهيته ونقسمها هنا الى ثلاث دلالات كل دليل منها يحوي المئات بل بعضها ما لا حصر له ونشير هنا إلى دليل واحد منها وهو

دلالة الآيات الكونية والمخلوقات.

الآيات الكونية : وهي جميع مايحيط بالإنسان ويصل إليه بنظره وفكره من مخلوقات الله ، كالسماء والأرض والشجر والجبال والدواب والبحار والإنسان ففي كل ذلك آيات باهرات واضحات على ربوبية الله تعالى .

وقد لفت الله تعالى نظر الإنسان إلى ذلك . قال عز من قائل﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ

(١)تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٠٠)

ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٦٤

وقال تعالى﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران:

وقال تعالى﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ الذاريات: ٢٠ - ٢١

وقال تعالى﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ١٠١

وقال تعالى﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ الغاشية: ١٧ - ٢٠

ولما سأل فرعون موسى عليه السلام عن رب العالمين ، أجابه موسى عليه السلام بما يقطع حجته ويفضح كذبه .قال تعالى ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الشعراء: ٢٤ - ٢٨ .

فهذه آيات ظاهرة ألجمت إمام الملاحدة وأخرسته وأظهرت خزيه وكذبه .

والآيات الكونية ظاهرة لكل إنسان لاتحتاج إلى كبير عناء في إدراك أن لها موجداً أوجدها له كل صفات الكمال والجلال،وله الحق وحده بكل أوجه التعظيم والخضوع والعبودية.

وهذه الآيات التي لفت نظرنا إليها ربنا الكريم تعجز الألسنة ويعجز العلم عن ادراك خفاياها وخباياها وكل دلائلها، لكن فيها مايكفي للتسليم لخالقها بالربوبية والألوهية .

وفي الحقيقة التي لامناص منها أنك تعجز بل لاتكاد تعرف من اين تبدأ ولا عما تتحدث هل تتحدث عن السموات على اتساعها أم النجوم على كثرتها أم عن الشمس والقمر أم عما بين ذلك أم عن الارض وتنوع الدلالات فيها أم الانسان أم الحيوان أم الطير أم الرياح أم الامطار شيء مذهل محير من كثرته وتنوعه تنوعا يفوق الحصر لكن سنتحدث عن زاوية مما يتعلق بالأرض والإنسان

أما الأرض ففيها من العجائب والغرائب مايعجز الواصف أن يصف والمعلم ان يعلم ولكن نقول:

هذه الأرض العجيبة هي ثالث كواكب المجموعة الشمسية بعدًا عن الشمس بعد عطارد والزهرة، وتعتبر من كبرى الكواكب الأرضية في النظام الشمسي، وذلك من حيث قطرها وكتلتها وكثافتها.

ومساحتها: ٥١٠,١٠٠,٠٠٠ كم^2

نصف القطر: ٦,٣٧١ كم

المسافة من الشمس: ١٤٩,٦٠٠,٠٠٠ كم

فهذه المعلومات المتعلقة بالمساحة والبعد من الشمس تعطينا دليلا على عظمة الخالق الذي خلق هذه الأرض بهذه السعة المناسبة وهذا الثقل وهذا البعد المناسب، فهل يقول من له أدنى عقل أنها وجدت من غير خالق مع أن علماء الآثار إذا وجدوا خمسة أحجار أو نحوها مرصوفة على شكل حائط استدلوا بذلك على راصف رصفها وبان بناها ، فأين عقول الملاحدة تذهب إن كان لهم عقول؟!! حين يجحدون أن للأرض خالقا حكيما رحيما كريما.

خلق الجبال

الجبال تلك المخلوقات الصلبة التي تطاول عنان السماء وتنغرس في باطن الأرض كالأوتاد ذكرها الله عز وجل ولفت لها نظر الإنسان ليستدل منها على عظمة خالقها ورحمته وحكمته فيسبحه ويعبده قال تعالى موجها نظر الإنسان الى الجبال ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴾ الغاشية: ١٧ – ١٩

فهذه الآية صريحة في لفت نظر الإنسان الى عظمة الخالق واستحقاقه للربوبية والألوهية من خلال هذه المخلوقات العظيمة؛ الجبال، وكيف جعلها منصوبة أي مرفوعة على وجه الأرض وقد بين سبحانه أنه قد جعل الجبال أوتاداً للأرض تحفظ للقشرة العليا منها اتزانها فلا ترتج ولا تتحرك

قال تعالى: ﴿ **وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ النبأ: ٧

وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا** ﴾ الرعد: ٣

وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ** ﴾ الأنبياء: ٣١

قال ابن كثير رحمه الله ﴿ **وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ أي: جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى

سكنت ولم تضطرب بمن عليها"[1].

قال الشيخ السعدي رحمه الله :" جبالا عظاما، لئلا تميد بالخلق، فإنه لولا الجبال لمادت بأهلها، لأنها على تيار ماء، لا ثبوت لها ولا استقرار إلا بالجبال الرواسي، التي جعلها الله أوتادا لها".[2]

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ فاطر: ٢٧ وهذه الجبال على ضخامتها قد نوع تبارك وتعالى بينها ومايز بينها بالألوان فمنها من له خطوط بيض وحمر مختلفة في درجات الوانها ومنها الأسود القاتم فمن الذي لونها وصبغها بذلك لاشك أنه العليم القدير.

وحقيقة كيفية تكون الجبال في الأرض غير معلومة لكن كثيرا من الجيلوجيين يقولون: إن تكونها بُعيْد تكون الأرض، وأن تكونها كان بسبب البراكين التي كانت انطلقت من باطن الأرض دافعة الأحجار الضخمة للعلو ومن ثم السقوط والتراكم بعضها فوق بعض مخترقة سطح الأرض ومنغرسة فيها لتكون بذلك أوتادا لها وبعضهم يقول إنها بسبب تصادم القارات فحدثت التعاريج والنتوءات في الارض مكونة الجبال عالية حسب قوة التصادم، هذا نقوله استئناسا ولانبني عليه شيء، وإنما الحقيقة أن الله خلقها لمصلحة الأرض بالكيفية التي هو يعلمها ونحن لانعلم من ذلك إلا بطريق القياس والنظر العقلي، أما الواقع فهو كما قال الله عز وجل ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ الكهف: ٥١

ومن إعجاز القرآن أنه أفاد أن الجبال مغروسة في الارض أوتادا لها، ومفاد هذا أن ثلثيها ونحوه منغرس في الأرض، والثلث منها هو الظاهر فقط، وهذه معلومة قرآنية لم يكن يعلمها الناس، وإنما أول من اكتشفها من الغربيين العالم الفلكي جورج أيري ففي عام ١٨٦٥ تقدم جورج أيري بنظرية مفادها أن القشرة الأرضية لا تمثل أساسا مناسبا للجبال التي تعلوها وافترض أن القشرة الأرضية وما عليها من جبال لا تمثل إلا جزرا طافية علي بحر من صخور

(١)تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٢)

(٢)تفسير السعدي (ص: ٤١٢)

أعلى كثافة. وعليه فلابد للجبال لضمان ثباتها واستقرارها على هذه المادة الأكثر كثافة ان تكون لها جذور ممتدة من داخل تلك المنطقة العالية الكثافة.

إن التفسير العلمي لنظرية جورج أيري أتى من خلال النموذج الذي قدمه الجيولوجي الأمريكي دتون في عام ١٩٨٩ م شارحا به نظريته المسماة بنظرية الاتزان والمتمثل في مجموعة من حوض مملوء بالماء شكل المجسمات الخشبية المختلفة الارتفاعات طافية على الماء تبين من هذا النموذج أن الجزء المغمور في الماء من المجسمات الخشبية يتناسب طردا مع ارتفاعه ذاكرا أنها في حالة اسماها بحالة الاتزان الهيدروستاتي أما التمثيل الطبيعي والتقليدي لهذه الحالة فهي في الواقع حالة جبال الجليد العائمة حيث تبين أن كل جبل جليدي مغروس في الماء بكيفية مخروطية تتناسب مع طوله فوق الماء وهكذا تمكن العلم الحديث من العلم نظريا وواقعيا من معرفة معلومة مهمة عن الجبال تداولها المسلمون بسبب ورودها في القرآن منذ نزول الكتاب الكريم.[١]

-خلق المياه:

المياه هي هذا المكون المخلوق العجيب المعروف وهو يتكون من أجسام متناهية الصغر، تسمى "جزيئات". وقطرة الماء الواحدة تحتوي على الملايين من هذه الجزيئات. وكل جزيء، من هذه الجزيئات يتكون من أجسام أصغر، تسمى "ذرات" ويحتوي جزيء الماء الواحد على ثلاثة ذرات مرتبطة ببعضها، ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين. وقد اكتشف هذا التركيب الكيميائي للماء عام ١٨٦٠، العالم الإيطالي "ستنزالو كانزارو"

والهيدروجين، هو أخف عناصر الكون، وأكثرها وجوداً به، وهو غاز قابل للاشتعال.

أمّا الأكسجين ،فهو ثالث أكثر العناصر وجوداً في الكون، وهو غاز نشط يساعد على الاشتعال، وهو ضروري لتنفس الكائنات الحية، ويدخل في التركيب العضوي لجميع الأحياء، مع الهيدروجين والكربون.

---

(١)انظر موقع :

http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/59-The-first-issue/221-And-the-mountains-as-pegs

وعلى الرغم من أن الهيدروجين غاز مشتعل، والأكسجين غاز يساعد على الاشتعال، إلاّ أنه عند اتحاد ذرتي هيدروجين مع ذرة أكسجين، ينتج الماء الذي يطفئ النار.

والماء النقي لا يحتوي على الأكسجين والهيدروجين فقط، بل يحتوي على مواد أخرى ذائبة، ولكن بنسب صغيرة جداً. لذا، فإنه يمكن القول بأن الماء يحتوي على العديد من العناصر الذائبة، إلاّ أن أغلب عنصرين فيه، هما الهيدروجين والأكسجين.

والماء في صورته النقية سائل عديم اللون والرائحة، يستوي في ذلك الماء المالح والماء العذب. إلاّ أن طعم الماء يختلف في الماء العذب، عنه في الماء المالح. فبينما يكون الماء العذب عديم الطعم، فإن الماء المالح يكتسب طعماً مالحاً؛ نتيجة ذوبان عديد من الأملاح به.

هذا المكون العجيب هو مانسميه الماء فمن أين جاء الماء؟؟؟

لاشك أن الخالق الكريم أوجده بقدرته العجيبة التي لايحدها شيء ولكن من أين وفي أي مكان خلق؟؟ هل خلق في الأرض أم خلق خارج الأرض ومن ثم وضع فيها وأدرج فيها؟؟؟

هما نظريتان:

الأولى تقول: إنه تكون خارج الارض ودخل الغلاف الجوي على شكل سحب فضية وأمطرت الأرض خلال تكوينها بما ملأ المحيطات والأنهار.

والثانية : هي خلقت في الأرض أثناء خلق الله عز وجل لها أوجدها في باطنها ثم خرجت من باطن الأرض بفعل البراكين والتصدعات التي حدثت في الأرض فكونت تلك المياه الخارجة من باطن الأرض المحيطات والبحار المالحة. وهذا فيما أرى أنه الأقرب لدلالة القرآن الكريم فإن الله عز وجل قد بين أنه خلق الأرض وأخرج منها ماءها ومرعاها في قوله تعالى:﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ النازعات: ٣٠ - ٣١

ومن المعلوم أن السحب تتكون من تبخر البحار والمحيطات والرطوبة الأرضية بفعل حرارة الشمس فإذا وصلت حبات الماء التي ترتفع في الهواء الى مستوى معين من طبقة الجو تكثفت ثم إذا وصلت درجة الحرارة الى أعلى من الصفر قليلا تجمعت تلك الجزيئات المائية وهطل المطر، وإذا كانت درجة الحرارة أقل من الصفر فإن الماء ينزل متجمدا وهو الثلج . وهذا إنما يحدث بإرادة الله وحده فهو الذي يدبر هذا الكون بالكيفية التي شاء ويشاء.

وتتكون من هذه الأمطار المياه الحلوة؛ وهي نوعان مياه الأنهار والينابيع وأظهر ما تكون أنها تكونت من مياه الأمطار فإن الله عز وجل قد ربط إخراج الزروع والثمار بالماء النازل من السماء وهي الأمطار في مثل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ طه: ٥٣ ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ المؤمنون: ١٨ - ١٩

كما ربط بين نزول المطر مدرارا وجريان الأنهار كما في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ الأنعام: ٦ ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ نوح: ١١ - ١٢ ونحو ذلك من الآيات.

والزرع والثمار إنما تخرج بالماء الحلو وكذلك الإنسان والحيوان إنما يشرب الماء الحلو وليس المالح فهذا فيما أرى يؤكد أن الماء الحلو كله سواء كان ينابيع أو أنهار منشؤه من الأرض ونزوله من السماء وذلك يجمع بين قوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ النازعات: ٣٠ - ٣١

وقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ المؤمنون: ١٨ - ١٩ونحوها من الآيات.

فهنا لنا حق أن نسائل الملاحدة من الذي أوجد هذا الماء بهذه النسب العجيبة وهذا المزج الغريب ليتكون هذا المخلوق العجيب الماء الذي هو عنوان الحياة ووجوده وجود لها وفقده علامة لفقد الحياة!!!!! لاشك أن الموجد لذلك هو العليم الخبير وهو القائل مدللا على ربوبيته وألوهيته بقوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ الواقعة: ٦٨ – ٧٠

-خلق الإنسان

لفت الله نظر الانسان الى نفسه في قوله تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ الذاريات: ٢١ فأقرب الأشياء الى الإنسان نفسه، وفيه من الآيات والبراهين على الربوبية والألوهية مالا يحصى، ولكن نشير الى أمر واحد وهو التناسل الانساني :

إن موضوع خلق الإنسان ، وتطور خلقه في بطن أمه قد ورد في آيات عديدة، منها قوله تعالى : {ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً... } الحج(٥).

وقوله تعالى :{ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين }المؤمنون(١٢-١٤).

وقال تعالى :{الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين} السجدة(٧-٨).

وقال تعالى :{أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى} القيامة(٣٦٤٠).

فهذه الآيات متعلقة بخلق الإنسان ، وغيرها كثير مما ذكره العلماء ودرسوه . وهنا ننبه على أشياء من هذا ، إذ لا يمكن استيعاب الكلام عن هذه المعاني كلها في مثل هذا المقام، فنقول:

إن الاعتقاد السائد في خلق الإنسان قبل نزول القرآن على أنواع ، فأرسطو الذي كان قبل الميلاد كان يرى أن الجنين موجود في نطاف الرجل كامل الخلقة ، فإذا دخل في رحم المرأة نما في رحمها .

ثم عدل عن ذلك، وقال : إن الجنين يتشكل في دم الحيض ، فإذا جاء المني من الرجل عقده ، بمعنى أثر فيه ، بحيث يبدأ يتشكل ويبرز.

ثم سادت في القرن السابع عشر الميلادي نظرية مفادها أن الجنين موجود في بيضة الأنثى ، لأنهم كانوا اكتشفوا البويضة بالمجاهر قبل ذلك، في حدود عام ١٦٧٢م. ثم إن النطاف الذكر يؤثر في ذلك الجنين فينشطه للتطور.

ثم أول من عرف من الغربيين دور كل من نطفة الرجل وبويضة المرأة في تكوين الجنين هو العالم "هير تونغ" عام ١٨٧٥م ، ثم تعرف العالمان "بونري ومورحان" عام ١٩١٢م على الصبغيات ، وما تحمله من مورثات ، وأنها موجودة في نطفة الذكر وبويضة الأنثى ، التي تحمل صفات الآباء إلى الأبناء .

هذه المعلومات التي لم يتوصل لها العلم الحديث إلا بواسطة المجاهر والتحاليل والتصوير ، إلى غير ذلك من الإمكانيات الحديثة ، والتي تحتاج إلى متخصصين من أعلى المستويات ، قد جاء بها القرآن الكريم ، ولم يكن للناس علم بها ، بل علم أكثرهم كان أن الجنين يتكون من دم الحيض ، فلهذا كانوا يحملون المرأة نوع الجنين ذكراً أو أنثى ، إلا أن هذه المعلومات الخاطئة صححها الله تعالى ، وأعطى في ذلك معلومات صحيحة ، كما أعطى مسميات دقيقة لمراحل خلق الإنسان، التي لايمكن بحال أن تعرف إلا بأحد أمرين :

إما من العليم الخبير ، الذي لا تخفى عليه خافية ، وهو الخالق الموجد ، وإما بواسطة المشاهدة والمعاينة من أهل الاختصاص في هذا . وهذا لم يتحقق إلا في العصر الحديث ، ولم يكن حدث من قبل ، وقرر العلم في هذا :

أن الجنين يتخلق من نطفة الرجل والمرأة سوياً ، ولا يمكن أن يتخلق ما لم يلتق الحوين المنوي للرجل ببويضة المرأة . وهذا قول الله تعالى :{إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج } والأمشاج : الأخلاط ، والبعض يرى أن ذلك الأمشاج هو حيوان الرجل المنوي وبويضة المرأة ، وبعد الإختلاط يبدأ التكون ، وقبله لا يمكن أن يبدأ تكون الجنين .

كما قرر القرآن أن نطفة الرجل هي التي تحمل الذكورة والأنوثة ، وهي التي تتحكم في نوع الجنين ، وذلك في قوله تعالى :{وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى} .

والنطفة التي تمنى هي من الرجل ، وليس من المرأة .وقد ثبت بالعلم الحديث أن الحيوان المنوي للرجل يحمل نوعين من الحيوانات المنوية ، فنصفها حيوان منوي مذكر يحتوي على (٢٣) كروموسوم أي صبغي ، يرمز له بحرف (Y) ، والنصف الآخر يحمل (٢٣)

كروموسوم أنثوي يرمزون له بحرف (x) ولكل من النوعين شكله الخاص وصفاته الخاصة، أما الأنثى فبويضتها تحتوي على حوين انثوي فيه(٢٣) كروموسوم أنثوي المرموز له (x)فقط.

فإذا سبق الحيوان المنوي الذي يحمل كروموسوم الذكورة (y)، فلقح البويضة، صار في البويضة النوعين الأنثوي والذكري ، فيكون الجنين ذكراً بإذن الله ، ويحمل في جسمه النوعين ،وبعد أن يصبح ذلك الجنين بالغاً ينتج جسمه النوعين ، أما إذا سبق الحوين المنوي المؤنث ، الذي يحمل الكروموسوم (x) ولقح البويضة اجتمع فيها أنثوي مع أنثوي (x x) ، فيكون أنثى بإذن الله ، ثم لا تنتج بعد أن تبلغ إلا نوعاً واحداً ، وهو الأنثوي. والله أعلم .

كما قرر العلم أن الرجل في القذفة الواحدة يقذف ما يزيد عن (٢٠٠) مليون حوين منوي ، نصفها مذكر ، ونصفها الآخر مؤنث .

وأن الذي يفوز بتلقيح البويضة واحد من تلك الملايين فقط ، وهو الذي يلج إلى داخل البويضة ويلقحها ، ويكون به الحمل بإذن الله ، أما الباقي فيهلك ولا يكون له أي دور بعد [١].

وهذا ما يشير إليه صراحة قوله تعالى : {ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين}. والسلالة هي : الشيء المستل المأخوذ من مجموعة .[٢]

وكذلك قوله تعالى : {خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى} .

فالنطفة هي الشيء القليل من المني [٣]. وقد أكد هذا عليه الصلاة والسلام بقوله – لما سئل عن العزل– :"ما من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء".[٤]

ومما قرر العلم في هذا أن البويضة بعد تلقيحها بالحيوان المنوي من الرجل ، تذهب إلى جدار الرحم فتعلق به ، بمعنى أنها تنغرس فيه ، وتبدأ تتغذى من الأوعية الدموية التي فيه ، ثم تبدأ مرحلة التخلق .

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، ص١١٠-١٣٨ ، روعة الخلق أسرار كينونة الجنين، ص٤١-٤٩ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي (١٠٩/١٢).

(٣) تفسير القرطبي (٦/١٢).

(٤) م. النكاح ، باب العزل ، رقم(٣٥٣٩) ، انظره مع شرح النووي (٢٥٤/١٠).

وهذه العلقة ، وهذه الحالة ، هي الموصوفة في القرآن في مواطن كثيرة ، ولا يمكن لأحد مهما أوتي من العلم قبل عصر الاكتشافات العلمية أن يطلع على هذه الحالة وهذه الصورة ، إلا من كشف الله له عن علم الغيب وعلمه من لدنه تبارك وتعالى .

كما قرر العلم أن العلقة بعد ذلك تبدأ تخرج لها شبه أطراف ، فتكون كقطعة اللحم الممضوغة ، وهذه اللحمة الممضوغة يتكون منها شيئان : الشيء الأول : أعضاء الجنين ، والتي تشكل الجنين فيما بعد ، والشيء الثاني : المشيمة ، التي ينمو داخلها الجنين ، وهي تحمي الجنين وتغذيه بواسطة الحبل السري المتصل بها والمتصل بالجنين .

وهذا ينطبق تماماً مع قوله تعالى :{فخلقنا العلقة مضغة} ، وقوله تعالى :{ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة} . فالمخلقة هي ما يتكون منه الجنين ، وغير مخلقة هي المشيمة وما يتبعها من الماء الذي يسبح فيه الجنين ،وهو ليس مخلقة ولا شأن له من هذه الناحية بالجنين . ثم بعد ذلك يبدأ تكون العظام ، ثم يكسوها اللحم حتى يكون طفلاً يخرجه الله تعالى [(١)]، فإما يؤمن بعد هذا أو يكفر نسأل الله العافية .

إن هذا الخلق العجيب والابداع الحكيم إنما هو خلق الله الذي أحسن كل شيء خلقه وأعطى كل شيء خلقه وأبدع كل شيء أراده على أكمل وجه هو البرهان والدليل على ربوبيته سبحانه وأنه المعبود وحده كما أنه الخالق وحده جل في علاه.

الدليل الثالث : إجماع الأمم

من البراهين التي ساقها الله عز وجل في القرآن الكريم للإقرار بربوبيته أن الاعتراف بربوبيته أمر عام مشترك بين بني آدم كلهم من اسلم أو كفر فالكل معترف بهذا الأمر ومقر به وليس عندهم فيه قولان قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦١

وقال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

---

(١) انظر : خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، ص١٩٧-٢٩٥، روعة الخلق أسرار كينونة الجنين، ص٦٤-١٠٨.

﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ لقمان: ٢٥

وقال تعالى ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ المؤمنون: ٨٤ – ٨٩ فهذه النصوص وغيرها كثير هي ادلة دامغة لكل ملحد وتقيم الحجة على كل مشرك وهو أن العموم من البشر مقرون للخالق بالربوبية والألوهية.

وإنما اشكالهم في إفراد الله تعالى بالعبادة. روي ابن جرير رحمه الله عن ابن زيد أنه قال في قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ :"ليس أحدٌ يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به. ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٧٥ - ٧٧ ؟ قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به. ألا ترى كيف كانت العرب تلبِّي تقول:"لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك"؟ المشركون كانوا يقولون هذا".[١]

فهذا حجة قوية على دعاة الالحاد والباطل وأنهم شواذ ينطلقون من مرض عقلي وعناد ومكابرة كما قال تعالى عن إمامهم فرعون لما جاءته الآيات انكرها وجحدها وهو يعلم في قرارة نفسه أن موسى عليه السلام رسول صادق ونبي ناصح قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ النمل: ١٣ – ١٤ وهذا ما حكاه الله عز وجل عن كلام الرسل مع أقوامهم لما كذبوهم وردوا دعوتهم قال تعالى ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ

(١)تفسير الطبري (١٦/ ٢٨٩)

فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٍ ۝٩ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾إبراهيم: ٩ – ١٠

وهذا في حقيقته مستقر في مكنون كل إنسان تستخرجه الحاجة والخوف والاضطرار كما قال تعالى{**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ** } [يونس: ١٢]

وقال تعالى: {**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ** } [النحل: ٥٣]

والاقرار بربوبية الله ﷻ هو ما صرح به كثير ممن نبذوا دين النصرانية بسبب بعد ما تدعوا إليه من تناقضه مع العقل والحق فصرحوا بإقرارهم بربوبية الله ﷻ لأن ذلك مالايستطيع الانسان إنكاره وإن كانوا لم يقبلوا الدين النصراني يقول روسو: لو وُلدت في جزيرة منعزلة ، جاهلاً كل شيء عما حصل قديمًا في بقعةٍ من الأرض ، إن أعملت عقلي ، إن باشرته ، إن أحسنت توظيف المواهب التي حباني بها الخالق ، لَوَصلتُ حتمًا إلى معرفته ، إلى محبته ومحبة خلقه ، إلى فعل الخير الذي يريده ، إلى القيام بكل واجباتي في هذه الدنيا بغية مرضاته .)[١].

رابعاً :الأدلة العقلية

الأدلة العقليه : المقصود بها تلك الأدلة التي يخاطب فيها العقل للتفكر والنظر في ربوبيته والوهيته وأنه المستحق وحده للعبادة

وقد نوع ربنا وتبارك الدلائل والبراهين على استحقاقه للعبادة وحده دون غيره لأنه الرب وحده فاستحث العقول على التفكر إن كان لديها شك وريب فحصر سبحانه إمكانيات الدعاوى في الخلق في عبارة غاية في الإختصار وهي غاية في قوة الحجة والحكم في القضية فقال تعالى ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ الطور: ٣٥ فهذه الآية صريحة الدلالة

(١) دين الفطرة أو عقيدة القس من جبل السافوا، روسو (ص ١١٦ – ١١٧) .

والتقسيم لسائر الأقوال الباطلة فقد جعلت الانسان أمام نفسه ينظر ويتأمل فهو: إما أنه خُلق من لاشيء وهي دعوى الصدفة التي يدعيها الملاحدة، وهي دعوى باطلة عقلا وحسا وعرفا فإن من العلوم الضرورية أن لكل مصنوع صانع ولكل محدَث محدِث وهذا أمر يدرك بأدنى نظر كما سئل أعرابي عن وجود الصانع، فقال: البعرة تدلّ على البعير، وآثار الأقدام تدلّ على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا تدلّ على العليم الخبير؟!"[1] .

وإما أنه هو الخالق لنفسه؛ فهذا معلوم بداهة بطلانه وكل إنسان يدرك أنه مخلوق وليس بخالق وانه أُوجد ولم يوجد نفسه ،فإذا لم يكن الأمر كذلك فليس هناك مجال من التسليم للحقيقة الناصعة وهي أن الله عز وجل هو الخالق وحده وليس خالقا سواه .

هذه الآية سمعها جبير بن مطعم قبل أن يسلم فكانت سببا في اسلامه فقد كان جاء في فداء أسرى بدر فاضجع في المسجد واستيقظ على قراءة الرسول ﷺ في المغرب بسورة الطور وسمعه وهو يقرأ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ فقال فكأنما تصدع قلبي حين سمعت القرآن فكان يومئذ أول ما دخل الإسلام قلبي.[2]

وروى البخاري ذلك عن مُحَمَّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: " سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٧ " قال: كاد قلبي أن يطير".[3]

ومن الأدلة العقليه التي دلل بها الخالق تبارك وتعالى على ربوبيته والوهيته قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣

---

(١)روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار (ص: ١٦)

(٢)تاريخ بغداد (٤/ ٨٧) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٢/ ٤٢)

(٣)صحيح البخاري (٦/ ١٤٠)وانظر كلام ابن القيم عن هذه الأية ودلالتها في الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٩٢)

هذا مثل ضربه الله عز وجل لكل من يعقل الخطاب من مؤمن وكافر في بيان سلبية وعجز المعبودات من الأصنام والآلهة سواه، وهو أن هذه الأصنام المعبودة عاجزة قاصرة فاقدة للقدرة فإن أحقر مخلوقات الله وهو الذباب لايمكن لهم ولا لغيرهم لا العابدين ولا المعبودين أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا وتكاتفوا وتعاونوا ، وفوق هذا فإن الذباب لوسلبهم شيئا من طعامهم أو شرابهم لا يمكن لهم أن يستردوه منه هذا مع ضعف الذباب وحقارة شأنه وهو كاشف عن ضعف الطالبين وهم كل من عدا الله عز وجل فهذا مثل دلل الله عز وجل به على ربوبيته واستحقاقه للعبادة دون كل من سواه وأن من سواه لايستحق شيئا من العبادة لأنه عاجز عن الخلق لأدنى مخلوقات الله عز وجل وهو الذباب بل عاجز عن دفع أذاه.[١]

وكما في هذا المثل بيان لحقارة المعبودات من دون الله وعجزها ففيه معجزه لنبينا مُحَّد صلى الله عليه وسلم وهي في قوله تعالى{وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه} فقد ذكر أهل الاختصاص أن الذباب حين يمتص شيئا فإنه يفرز الهواضم على جزئيَّات طعامه ؛ لأنه لا يملك جهازًا هضميًّا معقدًا، فيهضم الطعام في مكانه قبل أن يمتصه بخرطومه، فهو لا يمتصه بخرطومه إلا متحوِّلاً مهضومًا ؛ ولذلك فإنه متى سلب شيئًا وامتصَّه، فقد سلبه متغيِّرًا متحوِّلاً تعجز كل وسائل العلم وأجهزته عن استنقاذه منه ؛ لأنه قد صار طعاما مهظوما تغيرت خواصه، ولم يعُدْ جزيئةً من سكر، أو زعفران، أو عسل، أو دقيق، أو غير ذلك ؛ وذلك فيه اعجاز علمي فمن أخبر النبي ﷺ بذلك إنه العليم الخبير (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

نواقض توحيد الربوبية:

ربوبية الله عز وجل كما سبق أن ذكرنا أمر مستقر في الفطر ولم يستدل الله عز وجل له وإنما استدل به في غالب أدلة القرآن الكريم لأن مشكلة بني آدم إنما هي في اخلاص العبودية لله عز وجل ولكن بني آدم قد يستدرج الشيطان بعضهم الى انكار الربوبية مخالفين بذلك فطرهم وما استقر عليه الاجماع العالمي بالإقرار لله عز وجل بالربوبية وسنعرض في النقاط

(١)تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٣) تفسير المراغي (١٧/ ١٤٦)

التالية لذلك الشذوذ العقدي وهو إنكار الربوبية أو شيء من خصائصها :

أولاً: الملاحدة

المقصود بالملاحدة هم من يدعون الإلحاد وقبل الحديث عنهم نعرف بالإلحاد لغة واصطلاحا ثم نعرف بالملاحدة ونبين أقوالهم :

تعريف الالحاد لغة: الالحاد مأخوذ من لحد وهو الميل عن الاستقامة، والعدول عن الشيء، والحد في الدين أي : حاد عنه وعدل، وقيل هو الشك بالله، والملحد هو الطاعن فِي الدّين المائل عَنهُ، وجمعه: ملحدون وملاحدة. (١)

الالحاد اصطلاحا: هو انكار وجود الله عز وجل أو انكار خلقه للعالم أو انكار شيء من خصائصه.

إن انكار وجود الله عز وجل كما سبق ليس عليه طائفة كبيرة من بني آدم من قبل وإن كان تعاظم في الأزمان المتأخرة ونحتاج هنا أن نتابع هذه الفكرة باختصار منذ بدأت لنعلم واقعها وحقيقتها وأهم المتبنين لها ثم نذكر مرتكزاتهم ونبين بطلانها.

١-. : الملاحدة المتقدمون :

إن تاريخ الالحاد القديم معلوم لدينا نحن المسلمين وقد ذكره الله عز وجل عن شخصين تاريخيين وهما الملك الذي حاج ابراهيم في ربه قال تعالى **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [البقرة: ٢٥٨] والمفسرون على أن ذلك الملك اسمه النمروذ وقيل إنه كان في الموصل، وهو فيما يظهر أول الملاحدة لأنه ذكر في قصته أنه كان يدعي الربوبية فيسأل من يأتيه للميرة من ربك؟ فإذا قال له : أنت؛ أعطاه وإلا لم يعطه. (٢)

أما الملحد الثاني فهو فرعون وخبره وقصته مع موسى معلومة وقد ذكر الله عز وجل من قوله ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ النازعات: ٢٤ وهذا الإلحاد بين واضح لايحتاج تفصيل.

---

(١)مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٣٦) مختار الصحاح (ص: ٢٨٠) تاج العروس (٩/ ١٣٥) المعجم الوسيط (٢/ ٨١٧)

(٢)تفسير الطبري (٤٣٢/٥) تفسير القرطبي(٢٨٣/٣)

إلا أن هذين الملحدين قد انكرا ربوبية الله عز وجل وادعيا ذلك لنفسيهما وهذا كان في وقت أقدم بكثير من الالحاد الذي تبناه اليونان في زمن حضارتها لأن فرعون موسى يقال إنه في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

٢-: ملاحدة اليونان :

إن الالحاد انتقل الى اليونان وظهر هناك الإلحاد مذهبا يقول به بعض الفلاسفة اليونان القدماء إلا أنه ظهر متاخرا كثيرا عن الحاد فرعون مصر الذي يبدو أنه ورّث هذا الفكر لأقوام آخرين يدل على هذا قوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ القصص: ٤١

قال الطبري رحمه الله :" وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتمّ بهم أهل العتوّ على الله والكفر به، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار" (١)

وقال ابن كثير رحمه الله :"(وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) أي: لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم، في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع"(٢).

ويذكر الدارسون لتاريخ الفلسفة أن أول ملاحدة اليونان كما سيأتي هو طاليس وقد كان جاء مصر وأخذ من علمائها علم المساحة، (٣) فيبدو أنه وصل إليه الالحاد ممن كان على دراية به في تلك البلاد حين زارها ولا أستبعد أن تكون ورثة فرعون في الإلحاد أخذ عنهم طاليس هذا المذهب فيكون الإمام في هذا هو فرعون . والله أعلم.

ومن الفلاسفة الذين تبنوا انكار الخالق :

١-طاليس(٦٢٤-٥٤٦ق م) انكسيمندريس (٦١٠-٥٤٧ق م) انكسيمانس (٥٨٨-٥٢٤ ق م) هيرقليطس(٥٤٠-٤٧٥ ق م) انكساغورس (٥٠٠- ٤٢٨ ق م) ديمقريطس (٤٧٠-٣٦١ ق م) أبيقور (٣٤١-٢٧٠ ق م)

هؤلاء الملاحدة وهم من قدماء فلاسفة اليونان وكلهم ينكر وجود الله تعالى وربوبيته ويسندون الخلق إلى أنه وجد بنفسه من أصل وجد بنفسه أيضا ويختلفون في هذا الأصل

---

(١)تفسير الطبري (١٩/ ٥٨٣)

(٢)تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٨)

(٣)تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم (ص ٢٧)

ماهو؟

فمنهم من يقول: إنه الماء كما هو قول طاليس.

ومنهم من يقول :إن الأصل هو : مزيج من الأضداد الحار والبارد والرطب واليابس،

ومنهم من قال: الأصل الهواء،

ومنهم من قال: النار،

ومنهم من قال: الماء والهواء والتراب والنار،

ومنهم من قال : أن أصل الكون ذرات أو جواهر أو طبائع لاحد لها وهي متناهية في الصغر.

ومنهم من قال: إن أصل الوجود من الجواهر الفرد أو من الذرات التي لاعدد لها والأخير قول ديمقريطس وأبيقور. [١]

فهذه أقوال لا أزمة لها ولا أعنه ولا خطام ولا تعود إلى قول له أدنى مسحة من العقل والقبول ولا تعدوا أن تكون تخمينا وخرصاً باطلا ، ولو فرضنا قولا منها فإنه يناقضه مقابله والكل لا دليل عليه فالكل لا يصح وكل قول منها ينفي الآخر.

ولو فرضنا صحة واحد منها أنه أصل للعالم فمن أين جاء هذا الأصل وكلها أشياء ميتة وليست حية .

ولو فرضنا صحة قول منها فالأشياء المذكورة كلها ميتة فمن اين جاءت الحياة للأحياء هذا مالا يستطيع ملحد الجواب عنه ولا محيد له منه.

٣-ملاحدة الغرب في العصور المتأخرة:

لكل ساقطة لاقطة ولكل قوم وارث فالمذهب الرديء الذي حكيناه عن بعض متقدمي الفلاسفة التقطه أمثالهم بعد أن نبذوا الدين النصراني دين الكنيسة التي أذاقتهم العذاب والمر

(١)تاريخ الفلسفة اليونانية ،يوسف كرم (ص٥٩) موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي(٢٣٧/١) الفلسفة اليونانية،محمد بيصار(ص٦٣) الالحاد في الغرب رمسيس عوض(ص٩)

خلال عشرة قرون أو أزيد وأدت فيه العلم وكممت الأفواه وقطعت الألسن عن الاعتراض أو حتى التذمر من عقيدة وديانة لاتتفق مع شرع صحيح ولاعقل صريح فثاروا ضدها وقمعوها حتى أدخلوها في جحرها الكنيسة وأغلقوا عليها الأبواب فلا تعترض ولا تنتقد فضلا عن أن تأمر وتنهى وتجيز وتمنع، فانطلق الناس بعد ذلك في كل اتجاه يقولون المعقول وغير المعقول وينادون بما شاءوا من الأفكار والأخلاق والتصرفات فكان من ضمن ما تبنوا فكرة الإلحاد فقد تبناها العديد من الفلاسفة المتأخرين بل صار لها منظمات ومنظرين وداعين ومدافعين وسنذكر باختصار أهم المتبنين لهذا الانحراف وأهم أقوالهم في ذلك وهم :

ديفيد هيوم(١٧١١-١٧٧٦م) توماس هوبز(١٥٨٨-١٦٧٩) بول هنري هولباخ (١٧٢٣-١٧٨٩) اوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧م) فريدريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م) تشارلز دارون(١٨٠٩-١٨٨٢م) برتراند رسل (١٨٧٢-١٩٧٠م)

هؤلاء مجموعة من الملاحدة المتأخرين وكلهم ينكر وجود الله ﷻ.

ومنهم من يزعم أن مصدر المعرفة هو الحس لذا أنكر وجود الله وألوهيته كما هو قول ديفيد هيوم[١] وهوبز [٢] وقريبا منهم أوجست كونت [٣].

ومنهم من يزعم: أن الطبيعة أنشأت نفسها والإنسانية العظمى أو السوبرمان هو الإله كما يقول نيتشة[٤].

ومنهم من يقول: إن المخلوقات تطورت من الطبيعه وزعموا أن الإنسان أصله قرد كما هو قول دارون، إلا إن دارون يحكي عن نفسه أنه شاك لا يدري الحقيقة أين؟!![٥]

ومنهم من: لايقوى على الإقرار بالخالق لكنه لايستطيع أن يقرر أمرا يقينيا في موضوع الإله ، ويرضى لنفسه أنه لا يدري ويمكن أيضا ملحد، كما يقول بذلك رسل[٦].

---

(١)تاريخ الفلسفة الحديثه يوسف كرم (ص١٧٨-١٧٩) موسوعة الفلسفة،عبدالرحمن بدوي(٦١٧/٢) موسوعة الفلسفة والفلاسفة عبدالمنعم حفني (١٥١٦/٢)

(٢) موسوعة الفلسفة،عبدالرحمن بدوي(٥٦٠/٢) موسوعة الفلسفة والفلاسفة عبدالمنعم حفني (١٤٨١/٢)

(٣)موسوعة الفلسفة والفلاسفة عبدالمنعم حفني (١١٣٢/٢)

(٤)قصة الفلسفة ول ديورانت (ص٥٠٨) موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي(٥٠٨/٢)

(٥)موسوعة الفلسفة والفلاسفة ،عبدالمنعم الحفني (٥٦٥/١) موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي(٤٧٣/١)

(٦)موسوعة الفلسفة والفلاسفة ،عبدالمنعم الحفني (٦٤٧/١) قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر د سارة آل سعود.(ص ٨٢٧،٨٢١)

وكما هو ظاهر من هذه الأقوال: أن أصحابها لم يقدموا شيئا ذا معنى في وجود هذا الكون وفي خالقه وموجده وهل وجد صدفة ؟ وهو في الغالب ما يدورون حوله، إذ ليس هناك جواب آخر عندهم، لأن أي شيئ يزعمون أنه أوجد الكون سيناقشون فيه ، ومن ذا يستطيع أن يوجد هذا الكون ومن ذا يستطيع أن يدير هذا الكون بعد إيجاده ، ومن ذا يستطيع ترميم هذا الكون لو حدث عليه شيء، إن الحقائق العلمية لواقع هذا الكون مذهلة جدا فحجم الأرض من ناحية سعتها ٥١٠ مليون كم٢ تقريبا مساحة شاسعة جدا فكيف بالشمس التي كما يقول أهل العلم تستطيعُ أن تحتوي في داخلها ١,٣٠٠,٠٠٠ كُرَةً أرضيَّة،
وذلك بسبب ضخامتها بالنسبة للأرض[١]. فكيف من يدير الشمس مع كل المجموعة الشمسية ومجرة التبان وسائر المجرات الكونية وكيف من يدير ماوراء ذلك.
إن الايمان بالخالق الذي لاحدود لقدرته وجوده وكرمه وإحسانه وفضله يضبط للعقل الإنساني توازنه، وإلا سيهوي في مهاوي هلكة شديدة وحيرة وقلق نفسي مدمر نسأل الله العافيه. لأنه لن يفهم للكون وجهة ولن يعرف لوجوده سببا ولن يفهم للحياة معنى ، لهذا كان هؤلاء الملاحده أشقى الناس ولم يستطيعوا أن يقنعوا أنفسهم بما قالوا لذا يقول
برتراند رسل : "لست قادرا على الاعتقاد بأن هنالك شيء يمكنني تقويمه خارج نطاق الكائنات البشرية ؛ إذ تبدو الحقيقة الموضوعية غير البشرية على أنها وهم . وهكذا يمضي عقلي مع المذهب الإنساني بينما عواطفي تقاوم ذاك بعنف"، وهو ينكر الأديان عموما ويعتبرها شر على الإنسانية وهو في حقيقته شكاك تائه يقول عن نفسه: "أنا لا أزعم أني قادر على البرهنة على عدم وجود إله" ، ويقول:" أنا لا أجزم على نحو عقدي بأن ليس هناك إله ، بل ما أجزم به هو : أننا لانعرف بوجوده" . وهو يعتبر نفسه أحيانا لاأدرياً وأحيانا ملحداً[٢].
ومثله دارون يقول: باستحالة أن يكون العالم جاء بمحض الصدفة فهو اكبر وأروع من أن يكون كذلك، وصرح بان المسألة كلها تتجاوز نطاق عقل الإنسان، وأن الإنسان عاجز أن

---

(١)https://mawdoo3.com

(٢)موسوعة الفلسفة والفلاسفة ،عبدالمنعم الحفني (١/٦٤٧) قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر د سارة آل سعود.(ص ٨٢٧،٨٢١)

يحل لغز بداية الأشياء ، وأنه لذلك لايدري وأنه راض بأنه لايدري(1).

فالحمد لله على هداية الرحمن وعلى الإسلام ونبي الاسلام والقرآن.

ثانياً: أصحاب وحدة الوجود:

وممن أنكر وجود الخالق سبحانه : الوجوديون: وهم القائلون بوحدة الوجود، وأساس مذهبهم يقوم على قول القائلين من الملاحدة: إن أصل هذا العالم هو المادة ولا يوجد فيه إلا ما هو جسم، فركب عليه القائلون بوحدة الوجود: إن هذا العالم تشيع فيه قوة حية هذه القوة الحية هي الله تعالى عن قولهم وأنه منبث في هذا الكون في كل ذرة من ذراته وهو القوة المصرفة له[2].ممن لهم أقوال صريحة في هذا

الرواقيون:وابن عربي الحاتمي الطائي (٦٣٨هـ) (3) **وأتباعه كابن الفارض (٦٣٢هـ) وابن سبعين (٦٦٩هـ.)(4) وغيرهم من ملاحدة الصوفيه من أصحاب وحدة الوجود.**

وصريح قولهم أنه لايوجد في هذا الكون سوى مايشاهد وينظر ويحس والله ﷻ قد تغلغل في هذا الكون وصار في كل ذرة من ذراته تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وسبحان الله عما يقول الظالمون

بيان بطلان قول الفلاسفة والصوفية اصحاب وحدة الوجود:

قول الوجوديين من جنس قول الملاحدة السابق في عدم إثبات وجود لله عز وجل وجوداً متميزاً به عن سائر المخلوقات، إلا أن من يسمون بالملاحدة أنكروا وجوده جملة وتفصيلاً،

---

(١)موسوعة الفلسفة والفلاسفة ،عبدالمنعم الحفني (٥٦٥/١) موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي(٤٧٣/١)

٢ انظر: موسوعة الفلسفة ٥٣٩/١، ٦٢٥/٢، مبادئ الفلسفة ص ١٧١.

(٣) فصوص الحكم (٩٠/١)ومن قوله .فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن *** فما ثم موصول وما ثم بائن

بذا جاء برهان العيان فما أرى *** بعيني إلا عينه إذ أعاين

(٤)ا عبدالحق بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن نصر بن سبعين الأشبيلي ،من الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود متوفى سنة ٦٦٩هـ. الأعلام (٢٨٠/٣).

وزعموا أن نوعاً محددا من المادة هو أصل الكون الماء أو الهواء أو الماء والهواء والنار والتراب أو الذرات هو أصل الكون ومادته الأساسية، فجعل هؤلاء الزنادقه بدل ذلك الله عز وجل وتعالى وتقدس، وزعموا أن وجود هذا الكون هو وجوده وهو ذاته تعالى الله عن قولهم، كما أن قول فلاسفة الصوفيه مطابق تماما لقول الرواقيين من الفلاسفة اليونان، وإنما أضاف هؤلاء بعض المسميات الشرعية ليروج على الناس، وهو قول لا نصيب له من الحق والهدى، وأوجه بطلانه هي أوجه بطلان قول الملاحدة الذي قبله. ويزاد عليها أيضاً:

١- أن هذا فيه طعن في الله عز وجل وسب له هو من أقبح الطعن والسب له سبحانه حيث زعموا أنه تعالى عن قولهم هو هذه الموجودات بما فيها من طيب وخبيث وخير وشر، وجعلوه تعالى عن قولهم الناكح والمنكوح، والآكل والمأكول، والشارب والمشروب إلى غير ذلك من المعاني والأحوال المتضادة والمتناقضة، وقد عاب الله عز وجل من زعم أن الله هو المسيح بن مريم وكفره قال عز وجل: { **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** }المائدة(٧٢).

كما عاب تبارك وتعالى من ادعى له الولد، وجعل هذا القول من أقبح القول وأفسده، واعتبره سبحانه سباً شنيعاً له، ولم يكن لابن آدم أن يسب الله تبارك وتعالى أو ينتقصه قال عز وجل { **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً** }مريم(٨٨-٩٣).

فإذا كان ادعاء أن الله هو المسيح، وادعاء الولد له بهذه الشناعة والقباحة والاعتداء والظلم فلا شك أن ادعاء أن الله هو هذا الكون بكل ما فيه من طيب وخبيث أشد ظلماً وبغياً وقباحةً، ولا يعدو أن يكون قول سفيه أملاه عليه الشيطان وصور له هذه المقولة والدعوى وزينها له حتى نطق بذلك الإفك المبين.

٢- إن هذا القول يلزم منه أن الله تبارك وتعالى يزيد بزيادة المخلوقات كما يلزم منه في نفس الوقت أنه ينقص ويفنى بنقص المخلوقات وفنائها.

٣- يلزم من هذا القول أن الله تبارك وتعالى يموت ويحرق ويغرق ويتألم ويتأذى ويهان سبحانه وتعالى ويصيبه كل ما يصيب المخلوقات عزيزها وذليلها.

٤- أن هذا يلزم منه أن يكون المخلوق خالقاً لنفسه موجداً لها، وهذا شيء يعلم كل إنسان من نفسه بطلانه، فهو خرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً، بل إنه خُلِق وأُوجِدَ بغير إرادة منه واختيار، وإذا كان هذا حال الإنسان وهو ذو الإرادة والقدرة والقوة فغيره من المخلوقات من باب أولى.

٥- أن هذا القول يلزم منه أن كل مخلوق صغير أو كبير، حقير أو جليل إله ورب، وجميع العقلاء يدركون بطلان ذلك من أنفسهم ببداهة العقول، إلا أن يكون من سفهاء بني آدم وطغاتهم مثل فرعون وأضرابه، ولا شك أن تصور هذا القول دال على بطلانه ومغن عن الرد عليه.

٦-إن الله ﷻ قد أثبت لنفسه الصفات والأفعال نحو قوله ﷻ { **وهو السميع البصير** }الشورى(١١)، وقوله {**كل شيء هالك إلا وجهه** }القصص(٨٨)، {**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** } ص(٧٥){**الرحمن على العرش استوى** } طه(٥) ،{**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما نفسك** } المائدة(١١٦) ، {**وهو العليم القدير** } الروم(٥٤)، {**الله خالق كل شيء**}الزمر(٦٢)، {**الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور** } الأنعام(١) .

فهذه النصوص الدالة على صفات الله تعالى وأفعاله ، وغيرها كثير مما يعتبر أعظم وأكبر موضوع تكرر ذكره في القرآن الكريم بشكل فاق جميع الموضوعات بكثرة الآيات الواردة فيه، فإنه لا تكاد تخلو آية من ذكره كيف لا وهو متضمن للتعريف بالله ﷻ وتمجيده وتعظيمه.

فإذا كانت هذه الآيات مع كثرتها لا تدل على ذات موصوفة بالصفات، وذات للخالق تبارك وتعالى تميزه عن سائر مخلوقاته، وتجعل لكل من الخالق والمخلوق وجوده الذي يتميز به وصفاته التي يتميز بها، فإن نصوص التوحيد والصلاة والحج والإيمان باليوم الآخر والجنة والنار، وكذلك النصوص التي تحرم الشرك وتحرم القتل والزنا والربا والظلم والبغي وسائر المحرمات والفواحش، لا تدل على تلك الواجبات ولا على تحريم تلك المحرمات، ويكون الدين بذلك كله باطلاً.

٧-لو كانت دعوى ابن عربي وأمثاله صحيحة للزم من ذلك أن القرآن والسنة وجميع ما فيهما من العلوم والأوامر والنواهي كلمات جوفاء لا معنى لها حقيقي وظاهر، بل هي مجرد رموز لمعان بعيدة ظلت خفية على الرسول ﷺ وعلى أصحابه والمسلمين في العصور الأولى سبعة قرون، بل استمر خفاؤها على المسلمين ، ولم يعرف تلك المعاني الخفية إلا ابن عربي وأضرابه من أفراخ ملاحدة الفلاسفة في القرن السابع الهجري.

٨- لماذا لم يصرح الله تبارك وتعالى بوحدة الوجود ، ويدع إليها وينبه عليها؟ مع أن ذلك لو حدث لما وجد من يعارض ذلك ويرده لأن فيه أمران خطيران:

الأمر الأول: أن جميع البشر بل جميع الأشياء آلهة بل هم الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الأمر الثاني: أنه ليس هناك شيء محرم أو لا يجوز أو مكروه، بل كل شيء محبوب مطلوب سواء كان شركاً أوفعلاً قبيحاً مثل الزنا أو الربا، أو بغياً وظلماً مثل القتل والاعتداء. فكل ذلك داخل في نطاق المباح الذي ليس فيه حرمة بوجه من الوجوه ، إذ الكل هو الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

٩- أن الرسول ﷺ لم يرد عنه لا من قريب ولا من بعيد شيء يدل على دعوى وحدة الوجود، فما الذي منعه عليه الصلاة والسلام من الدعوة إلى ذلك والجهر به؟ مع كمال شجاعته وكمال نصحه وفصاحته وبلاغته عليه الصلاة والسلام، وهو الذي عرض نفسه للقتل في سبيل الله وفي بيان بطلان معبودات أولئك المشركين، بل استباح دماءهم وأموالهم بسبب شركهم، كما استباح المشركون أيضاً دمه ﷺ ودم أصحابه بسبب معارضته لمعبوداتهم ودعوته لهم إلى توحيد الله ﷻ. فبناءً على دعوى ابن عربي وأضرابه كل ذلك كان من العبث، إذ أن الأمر لا يستحق شيئاً من ذلك، لأن المشركين على دعوى ابن عربي وأضرابه إنما كانوا يعبدون الله -تعالى الله علواً كبيراً- فهل في الأقوال الفاسدة أفسد من هذه الأقوال.

١٠- أن الله ﷻ قد لعن من أشرك معه في العبادة وأوجب له الخلود في النار وذلك في مثل قوله تعالى { **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه**

النار وما للظالمين من أنصار } المائدة(٧٢)، كما لعن إبليس وذلك في قوله **{ وأن عليك لعنتي إلى يوم الدين }** ص(٧٨)، كما لعن الله ﷻ اليهود في قوله **{ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون }** المائدة(٧٨)، فالله ﷻ في هذه الآيات وغيرها كثير لعن وأثبت غضبه وعذابه لمن عبد شيئاً معه أو عبد غيره عاماً أو خاصاً.

فلو كان الأمر كما زعم هؤلاء الزنادقة من أنه ما ثمَّ إلا الله ! وأن الوجود كله مظهر ومجلى لله ﷻ لكان لازم ذلك أن يكون الله ﷻ لعن نفسه -عياذاً بالله تعالى- وحكم على نفسه بالخلود في النار سبحانك هذا بهتان عظيم.

١١- أن الله لعن من عبد غيره وكذلك كل من ادعى الألوهية من البشر، فقد لعن فرعون وجعله إماماً في الضلال متبوعاً بلعنة الله هو ومن اتبعه قال ﷻ **{ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين}** القصص(٤٢) وذلك لقوله **{ أنا ربكم الأعلى }**الذاريات(٢٤)، فمن زعم أن المخلوق هو الخالق فقد زعم أن فرعون كان صادقاً وأن اللعنة والتقبيح له ولأتباعه بغير وجه حق أو هو ظلم غاية الظلم.

وقد التزم ابن عربي الضال المضل في مقابل ذلك إيمان فرعون ونجاته، بل زعم أنه صادق في قوله **{أنا ربكم الأعلى }**[(١)].

ولا شك أن هذا تكذيب صريح لكلام الله ﷻ واستدلال على الفاسد وهو قوله بوحدة الوجود بما هو مثله في الفساد وهو تكذيب الله ﷻ وتحريف كلامه بادعاء أن فرعون مؤمن وأنه صادق في دعواه للربوبية.

١٢. إن دعوى وحدة الوجود يلزم منها أن كل إنسان هو الله أو جزء من الإله، وهذا أمر لا وجود له في قرارة الإنسان، بل كل إنسان يشعر بنقصه وعجزه وحاجته وفقره، وأنه مخلوق مربوب، هذا واقع كل إنسان وهو مما يشعر به أيضاً، لهذا يسعى الإنسان إلى تكميل نفسه وتسديد حاجة نفسه من غيره، وإذا

---

(١) انظر فصوص الحكم (ص ٢٠١، ٢١٠، ٢١٢).

انقطعت الأسباب بالنسبة للإنسان على العموم لجأ إلى خالقه وموجده وهو يقر بوجوده وربوبيته، هذا مما لا يستطيع بشر أن ينفك عنه إلا مكابرة، وفرعون وهو من أكبر المتكبرين عن عبادة الله لما دهمه الماء وأشرف على الغرق وأدرك أن نجاته وحاجته عند واحد فقط وهو رب العالمين اضطر إلى ندائه والاستغاثة به لعله ينجو.

فأين حال الإنسان وما يدركه من قرارة نفسه ومايدعيه هؤلاء الزنادقة؟؟؟.

١٣. يقال للصوفية من أصحاب وحدة الوجود في جميع دعاويهم التي ادعوها في الله ﷻ :من أين علمتم وأخذتم معلوماتكم هذه التي تتناقض مع الشرع تناقضاً بيناً؟

فإن ما في الشرع جاء عن طريق الوحي وما ادعيتموه لابد أن تثبتوا مصدره فإن العقل لا يستطيع أن يتوصل إلى ما ذكرتموه.

وشيوخ الصوفية الضلال من أصحاب وحدة الوجود ليسوا أنبياء ينزل عليهم الوحي.

فهنا قد يدعون أن فيهم خاتم الأولياء[1].

فنقول: إن الأنبياء عليهم السلام قد أقاموا الأدلة والبراهين على صدقهم، فأين براهين هؤلاء الكذبة من أصحاب وحدة الوجود على دعاويهم؟ وأين معجزاتهم التي تبرهن على أنه يوحى إليهم؟ لا شك أنه لا يوجد شيء من ذلك سوى الدعاوى الكاذبة التي يفترون بها على الله بدون أن يقيموا عليها برهاناً شرعياً ولا حتى عقلياً .

١٤. إن ما ادعاه ابن عربي الضال في الله ﷻ وما ادعاه من وحدة الوجود ادعاه من أخذ بمنهجه من الصوفية بعده ،بدون أن يسندوه إلى الله ﷻ أو إلى الأنبياء عليهم السلام، كما أنهم لم يسندوه إلى ابن عربي نفسه بل كل واحد منهم يزعم أنه توصل إلى هذا القول من خلال عرفانه ومقامه، فمعنى ذلك أنهم لم يأخذوا معلوماتهم من ابن عربي خاتم الأولياء في زعمهم. فهي إذا -أعني ختم الولاية-

---

(١) ختم الولاية دعوى ادعاها الحكيم الترمذي ،وادعاها لنفسه ابن عربي وغيره من الكذبة وهي أنه كما للأنبياء خاتم فللأولياء خاتم يأخذ علمه من المشكاة التي يأخذ منها خاتم الأنبياء، وهم يفضلون ختم الولاية على ختم النبوة. انظر: فصوص الحكم (٢/٣٠)، هذه هي الصوفية (ص ١٢٧).

دعوى فارغة المضمون، كما أن معنى ذلك أن كل واحد منهم يوحى إليه في هذا المقام بهذه الدعاوي الخطيرة التي هي عين الكفر والزندقة ولا شك أنها إذا تناقضت مع الوحي المنزل من الرحمن لم يبق إلا وحي الشيطان كما قال الله ﷻ :

{وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون} الأنعام (١١٢-١١٣)وهذه الآية نص في أولئك الضلال، وبيان صريح لمصدرهم في العلم، وكذلك سبب دعاويهم تلك ألا وهو: الغرور والكبر مع عدم الإيمان باليوم الآخر.

١٥. نرى أن ما ادعاه ابن عربي وكذلك ما ادعاه سائر الصوفية من بعده من أصحاب وحدة الوجود ويزعمون أنه حصل لهم من الله ﷻ من خلال مقاماتهم التي يدعونها أو من خلال منامات رأوها أو القاء من قبل الله ﷻ [1] كل ذلك كذب بين واضح، إذ أن أقوالهم لم تخرج عن قول ملاحدة اليونان قبلهم سواء كانوا من الفلاسفة الدهريين والوجوديين أو المؤلهة منهم، وكذلك من جاء بعدهم من أصحاب الأفلاطونية الحديثة، وكذلك من أخذ بتلك الأقوال من المنتسبين للأديان من اليهود والنصارى والمسلمين من أمثال الفارابي وابن سينا وملاحدة الباطنية وغيرهم، فهي دعاوى قد سبق إليها ملاحدة اليونان ابن عربي وأضرابه من دعاة وحدة الوجود، وكان دور هؤلاء الزنادقة أنهم جمعوها ولفقوا بينها وأضافوا إليها بعض المسميات الإسلامية حتى تروج على الناس.

فيظهر من هذا كذب ابن عربي وأتباعه في دعواهم أن هذا العلم حصلوه بالكشف أو الوحي فهم كاذبون في ذلك مستحقون لوعيد الكاذب على الله في ادعاء الوحي قال ﷻ **{ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء**

---

(١) كما يدعي ابن عربي في كتابه الفصوص (ص ٤٧) حيث يزعم أن الرسول ﷺ هو الذي أعطاه كتاب الفصوص في المنام ، وأمره أن يخرجه للناس ، ثم زعم (ص ٥٦) أن الله أطلعه في سره على ما أودع في آدم عليه السلام وجعل ذلك في كتابه الفصوص حسب ما حُدَّ له.

ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون }الأنعام(٩٣).

وقد زاد ابن عربي وأضرابه على فلاسفة اليونان في الضلال والفجور؛ إذ أن أولئك توصلوا إلى أقوالهم تلك بالبحث والنظر العقلي البعيد تماماً عن الوحي.

أما هؤلاء فقد أخذوا أقوالهم تلك من الفلاسفة السابقين ،وعزوها إلى أنفسهم، وزعموا أيضاً أنها وحي من الله أوحاه إليهم فزادوا بذلك الكذب على الله ﷻ والافتراء عليه، عليهم من لله مايستحقون.

ثالثاً : الفلاسفة المؤلهة:

المؤلهة من الفلاسفة هم: الذين يقولون بوجود موجود أعلى يسمونه الإله، وهم كثير من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين، إلا أنهم يختلفون في تصوراتهم وعباراتهم عن الإله بالنسبة لصفاته وأفعاله، فهم ممن ينكر الخلق والإيجاد ويزعمون إثبات الوجود المطلق،

فأفلاطون(٤٢٨-٣٤٧ق.م) وتلميذه أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م) وأفلوطين والفارابي(٣٢٩هـ)وابن سينا(٤٢٨هـ.)

كلهم يثبتون موجود أوحد عقل لايتحرك كان علة لوجود العالم وليس خالقا له بل عندهم أن المادة قديمة أزلية ، وبدون أن يفعل الله ﷻ شيئا وإنما حركها على طريقة تحريك المعشوق لعاشقه فتكونت المكونات وخاصة العقول والنفوس التي صدرت منه،ثم صدر بعضها من بعض فكونت الكواكب التي كانت ذات أرواح فأوجدت هذا العالم [1].

بهذه الخيالات يتكلم هؤلاء الفلاسفة وكأنما هم شاهدوا كل تلك الأحوال والأطوار وأقوالهم باطلة فاسدة ومما يدل على بطلانها :

---

(١) في سبيل موسوعة فلسفية (ص ٥٤-٥٧)، موسوعة الفلسفة (١/١٦٨-١٧٨). قصة الفلسفة (ص ١١٢-١١٤).

أولاً: إن دعوى أن المادة قديمة أزلية وهو ما يسمى بقدم العالم عندهم قول فاسد ظاهر الفساد، إذ أنه يلزم منه أن المادة وجدت من غير شيء، وهذا معلوم الفساد ببداهة العقول، فإن كل موجود لابد له من موجد حتى ينتهي إلى الموجد الأول، وهو الخالق تبارك وتعالى، وإلا لزم من ذلك التسلسل إلى ما لا نهاية وذلك باطل ومستحيل.

ثانياً: قولهم بأنه صدر عن الله أولاً النفس الكلية أو العقل ثم نفوس الكواكب إلى آخر كلامهم في هذا، كله ضرب من الظن والتخمين الذي لا يمكن بحال أن يقول بصحته إلا كل سفيه لا عقل له ولا دين، لأنه ليس قولاً مبنيا على أي معنى علمي، كما أنه لم ين على ما هو مشاهد ومحسوس، إنما هو فرية افتراها أفلاطون وتبعه عليها من جاء بعده من الفلاسفة،

وأصل هذه المقالة والموجب لها اعتقادهم أن الله تبارك وتعالى لا يوصف بشيء من الصفات الثبوتية، فاحتاجوا بناءً على اضطرارهم للقول بالخالق بسبب وجود المخلوقات إلى القول بوجود الوسيط بين الخالق أو من يسمونه المبدع الأول: الذي لا يستطيع أن يفعل شيئاً ولا يملك شيئاً وليس له صفة، وبين المخلوقات، وهذا الوسيط هو النفس الكلية أو العقل على خلاف بينهم في التسميات، وهو الذي تولى إيجاد نفوس الكواكب ثم العناصر وما إلى ذلك من ضروب الظن والتخمين الفاسد.

وهذه الدعاوى تطورت عند من جاء بعده إلى زيادة العقول وترتيب هذه المقالة وفق ما يرون من تصحيح أو زيادة.

وهذا كله محض افتراء وكذب، وخيال عقلي، وأشبه بأسطورة من الأساطير منه ببيان علمي، والدليل على ذلك أمور:

١- أن مصدر العلم الصحيح إما التجربة أو المشاهدة أو الخبر.

ولا شك أن الله تبارك وتعالى ليس داخلا لا ذاته ولا صفاته تحت مشاهدتهم ولا تجربتهم، وكذلك أصل العالم ومادته وإيجاد الله له كما قال عز وجل **{ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ }**الكهف(٥١).

فكل ذلك ليس مجالاً للمشاهدة والتجربة، كما أنهم ليس لهم مصدر علمي صحيح أخبرهم بذلك، فإذاً عادت دعواهم إلى مجرد خرص وتخمين فاسد بعيد كل البعد عن الخبر الصريح، والعقل الصحيح.

٢- أن تناقض الفلاسفة وزيادة بعضهم على بعض في هذه المقولة وتخطئة بعضهم لبعض في ذلك دليل على أن الأمر يعود إلى قدرة كل واحد منهم على الخرص والتخمين والتخيل أكثر من الآخر، وذلك دليل على أن الأمر ليس حقيقة علمية يجب التسليم لها، وإنما هو تعبير خاص من قائله يعود إلى رأيه ونظره وتخيله، ولا يعود إلى أن ذلك هو حقيقة الأمر وواقعه.

ولو فهمت هذه الآراء على أنها آراء خاصة بأصحابها لكان الخطب يسيراً ، ولكن مع الأسف فقد جعلت تلك المقالات الفاسدة والآراء الكاسدة حقاً ثابتاً ويقيناً راسخاً يقاس غيرها عليها، ويقرب ما نفر عنها منها، وهي حكم على ما سواها، وهذا انحراف خطير، وخروج بالأمر عن مساره، وقلب لموازينه، إذ أن حقيقة الآراء المبنية على الخرص والتخمين أن تبقى آراءً خاصة لا تتعدى قائلها، ولا تعطى أي صفة علمية.

ثالثا: أن ما ادعوه من النفس الكلية والعقل إن أثبتوا له الإرادة والقدرة على التصرف فقد زعموا أن المبدع الأول، على حد تعبير بعضهم قد صدر عنه الإرادة والفعل، مع أنه في زعمهم فاقد لهذه الصفات، وفاقد الشيء لا يعطيه، وإن لم يثبتوا للنفس الكلية أو العقل الإرادة والقدرة والفعل فقد عاد الأمر كما كان بالنسبة للمبدع الأول، فتكون النفس الكلية أو العقل مسلوبي القدرة والإرادة والفعل ومعطلين، فلا يمكن أن يُوجد ويدبر ويتصرف كما هو الحال بالنسبة للأول، ولازم ذلك عدم وجود المخلوقات، وذلك باطل معلوم البطلان.

رابعاً: دعواهم أن العقل أو النفس الكلية هي التي أوجدت الكون ورتبته ووضعت فيه نظامه وأحكمته وما إلى ذلك؛ مؤد إلى أن المبدع الأول فيما يزعمون أوجد من هو أفضل منه وأكمل وأجل وأقدر وهذا خلف وضلال مبين، فكيف يوجد من هو أفضل منه وهو عندهم في الأصل عاجز تمام العجز.

خامساً: إن زعمهم أن الكواكب لها نفوس تدبرها وهي التي أوجدت الإنسان وما إلى ذلك، ظاهر فيه الكذب والضلال، فإن من أعظم الكواكب الأرض وفيها من الخيرات

والأحوال ما ليس في غيرها ومع ذلك فظاهر لكل ذي عينين أنها جامدة مسخرة لا روح فيها، وإنما هي مكونة من تراب وحجارة وماء وغير ذلك من المواد الجامدة، ولها نظام في شكلها وهيئتها ووضعها في هذا الكون لا يمكن بحال أن تخرج عنه بنفسها، ولا يمكن أن تكون أوجدته هي بنفسها، فإذا كان هذا حال الأرض فالكواكب الأخرى لا شك مثلها في ذلك وهي أبعد عن أن تكون لها أرواح تدبر أمرها، وفي هذا الوقت اتضح كذبهم وظهر أكثر من ذي قبل خاصة بعد وصول أناس من البشر إلى القمر وما لم يصلوا إليه استطاعوا أن يصوروه أو يروه بالمكبرات فلم يتبين فيها إلا أنها أقل حالاً من الأرض بل إنها فاقدة لكل معاني الحياة على ظهرها، فبالتالي ادعاء أن لها أرواحاً وأنها مدبرة لهذا الكون أو موجدة لا يعدو أن يكون من الأساطير السخيفة التي لا تروج إلا على أسخف الناس عقلاً وأبعدهم عن الإدراك السليم.

ولكن هنا سؤال لماذا لم يقل الفلاسفة أن الأرض من ضمن الأفلاك الموجدة لغيرها وتوقفوا عند القمر ؟!!

الجواب أن الحقيقة أنهم أدركوا أن الأرض ليس لها صفة الإيجاد وإنما هي مدبرة مسخرة لذا لم يستطيعوا أن يقولوا في الأرض ماقالوا في الكواكب الأخرى فالكواكب الأخرى لم يتصل بها الناس في زمنهم فافتروا فيها ما افتراه عباد الكواكب.

سادساً: إن من نظر في قول الفلاسفة في إيجاد هذا الكون يدرك أنه مبني على أمرين:

الأمر الأول: نظر عقلي فاسد أوصلهم إلى أن الله ليس له أي صفة ثبوتية سوى الواحدية أو الأولية وهذا من أجل أن يتوصلوا إلى إثبات علة للوجود.

الأمر الثاني: الوثنية المغرقة في الضلالة والخرافة مما كان عليه المجتمع اليوناني في زمنهم من تأليه الكواكب واعتقاد أنها التي أوجدت هذا الكون وتتصرف فيه.

فركب الفلاسفة قولهم من هذين الأمرين وكلاهما واضح بطلانه ظاهر سخافته وتهافته.

وقبل أن ننهي الكلام عن قول الفلاسفة ودعاويهم في صفات الله تبارك وتعالى وفعله وإيجاده لهذا الكون لابد أن نشير إلى أمر مهم وهو:

أن الفلاسفة قد يكونوا أجادوا بعض الإجادة في الكلام عن بعض المخلوقات أو الأمور المعنوية المتعلقة بالسياسة أو التربية ونحو ذلك، وكلامهم هذا مهما بلغوا فيه من حسن

القول والإجادة لا يلزم أن يكونوا أهلاً لأن يتكلموا فيما وراء طاقة الإنسان وقدرته سواء فيما يتعلق بالله عز وجل، أو المخلوقات غير الظاهرة للعيان، فذلك غيب عن الإنسان، وعقل الإنسان وقدراته متعلقة بما يراه أو يرى شبيهاً له فيقيس عليه.

فحديثهم عن الله جل وعلا وحديثهم عن تكوين الكون ومادته وأصله كله كلام في أمر غير داخل تحت طاقتهم وقدرتهم، وكلامهم فيه لا يعدو أن يكون ككلام المتطفل على علم لا يحسنه. وهم في هذا مثل طبيب من أمهر الناس في الطب مثلاً هل يليق أن يذهب إليه أحد بناءً على حذقه في الطب فيسأله عن مسألة شرعية أو مسألة متعلقة بالفلك أو الرياضيات أو مسألة متعلقة بالهندسة، لا شك أن هذا لا يليق ولا يصح.

ومن رام أن يأخذ من الطبيب جواب مسألة شرعية دقيقة أو مسألة متعلقة بالهندسة أو المحاسبة فهو مخطئ. فكذلك من رام أن يجد عند هؤلاء الفلاسفة علم ما يتعلق بالله عز وجل فقد أخطأ الطريق وأخطأ الهدف.

ثم إنه من رحمة الله عز وجل لما كانت وسائل البشر إلى معرفته المعرفة الصحيحة الكاملة مسدودة إلا من خلال الوحي أنزل الله في ذلك كتبه وأرسل رسله لتعليم الناس وتعريفهم به، وهذا من أعظم الرحمة وأعظم المنة من الله عز وجل على خلقه، لأنه بذلك يهيئ من شاء منهم إلى رحمته العظمى ورضوانه الأكبر في جنات عدن.

رابعاً: من جحد شيئاً من خصائص الربوبية (الربوبيون)

إن الضلال في بني آدم أنواع كثيرة جدا فمن الضلالات التي ظهرت واضحة في بني آدم في حق ربوبية الله عز وجل قول من يسمون بالربوبيين .

والربوبيون قوم من النصارى ظهروا بعد سقوط الكنيسة ، فإن الناس لما تأملوا ما تدعو إليه الكنيسة وجدوا أنها خرافات مجمعه كثير منها لاتمت إلى عقل ولا إلى شرع كدعوى بنوة المسيح لله والتثليث والصلب والفداء بالإضافة إلى أن الكتب التي يعتمد عليها في الديانة العهد القديم والعهد والجديد كل ذلك لم يثبت أمام النقد التاريخي والعلمي فأحس كثير منهم

أنهم أمام كذبة كبيرة وفرية على الله عظمى فكفروا بالدين النصراني وبكل مايمثله ثم كفروا بالأديان كلها وبكل أنبيائها وشرائعها وراحوا يضعون دينا يقوم على العقل الذي لايستطيع أن ينكر ربوبية الله عز وجل فجعلوا ذلك هو الأصل وما عداه من الأديان مردود وكل منهم ينظر بعقله مايثبته دينا وما ينفيه .

تعريف الربوبيون أو الدين العقلي :

عرف بالربوبية ول ديورانت

بقوله : (الربوبية: Deism الإيمان بالله بغير اعتقاد بديانات منزلة–مذهب فكري ظهر في القرن الثامن عشر يدعو إلى الإيمان بدين طبيعي مبني على العقل، لا على الوحي، ويؤكد على الناحية الأخلاقية، منكراً تدخل الخالق في نواميس الكون.) [١]

وعليه يمكن أن نعرف المذهب الربوبي بأنه: مذهبٌ إلحادي ، يثبت وجود خالقٍ للكون أوجده ووضع فيه نظامه ثم تركه لايتصرف فيه، وينكر أصحاب هذا المذهب الوحي والأديان والرسالات السماوية والمعجزات ، والكتب ويعتمدون على العقل والملاحظة للكون مصدرًا للمعرفة [٢].

أما القول بأنه مذهبٌ إلحادي ؛ فذلك مبني على أنه مذهب فكري يقوم على إنكار الأديان جملةً وتفصيلاً ، كما أن فيه تعطيلاً للخالق من ناحية إنكار تدبيره وتصرفه في الكون فهو من هذا الوجه مذهب إلحادي .

كما أن إطلاق الربوبي ليس دقيقا ؛ لأنهم لا يثبتون الربوبية على وجهها ، وإنما يقرون ببعض خصائص الربوبية وهي الخلق فقط ، وينكرون كثيرا من خصائصها الأخرى .

وأما القول بإنكار الوحي والأديان والرسالات السماوية والمعجزات فذلك لأنهم ينكرون أفعال الله تبارك وتعالى المتعلقة بخلقه ما عدا الخلق ، فمن هنا ينكرون الوحي للأنبياء عليهم السلام ، ويعتبرون عموم الرسالات السماوية والأديان صنعةً بشرية ليس لها أي ارتباط بالخالق جل

---

(١)قصة الحضارة ، ول يورانت (٣٠/ ٢٨٥) هامش ١

(٢)معجم كامبردج (ص٣٦٩) قاموس أكسفورد (ص ٣١٥). معرفة الله على أساس العقل والطبيعة ورفض الأديان ، كاثبيرت ويست مورلاند (ص ٣) طريقي الجديد بحث شخصي داخل مملكة الدين ، جيمس سولسبي (ص ٧٤) موقع منتدى أنصار السنة بتاريخ ١٤٣٦/٤/٢٠هـ موسوعة ويكيبيديا بتاريخ ١٤٣٦/٤/٢٠هـ .

وعلا ، ومن هنا أنكروا حق الخالق على خلقه وهو العبادة واعتبروا أن كل ذلك ليس مطلوبًا من البشر بوجهٍ من الوجوه .

وهو مذهب عقلي ويعتمد الملاحظة ، فهو من جنس مذاهب الفلاسفة الذين يعتمدون على العقل أو التجربة في سائر المتطلبات الإنسانية سواء كانت نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية ، كما يعتمد النظر إلى الطبيعة ، وهو من هذا الوجه مذهبٌ طبيعي ، أي يجعل الطبيعة والمخلوقات هي الوحي الذي يفهم منه كل مايتعلق بالله عز وجل وسائر الحقوق التي له سبحانه على عباده.

لذا يسمى هذا المذهب الربوبي أو الربوبية : أوالدين الطبيعي[١]، أوالدين التأليهي[٢].ويسمى كذلك مذهب أصحاب العقل[٣].

وهذا الاعتقاد بالربوبية يرفعهم عن درجة الملاحدة ويجعلهم في مصاف المقرين بوجود الله وأنه خالق هذا الكون، إلا أن هذا لا يجعلهم أهلا للوصف بأنهم يؤمنون بالله، لأن هناك أمورا عديدة تتعلق بالإيمان بالله ينكرونها ، وهم في هذا لا يعْدُو أن يكونوا مثل المشركين الذين يقرون بأن الله هو الخالق الرازق ، كما أن الربوبيين لا يعدون أن يكونوا بهذا القول المأثور عنهم من أن يكونوا من أهل الايمان بالخالق الإيمان الفطري الذي فطر الناس كلهم عليه كما قال تعالى **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ }** [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣]

ومن كلامهم عن معتقدهم :

---

(١) الدين الطبيعي ، جاكلين لاغريه .
(٢) ينظر : في تاريخ الدين والفلسفة ، هاينريش هايني (ص٣١) .
(٣) ينظر : معرفة الله على اساس العقل والطبيعة ورفض الأديان ، كاثبيرت ويست مورلاند ؛ طريقي الجديد بحث شخصي داخل مملكة الدين ، جيمس سولسبي (ص ١٤ على سبيل المثال) .

يقول "توماس بين" عن إيمانه الذي يتعارض به مع إيمان المثلثين من النصارى وأنه إيمان فطري : (ولكن الإيمان بالله هو الإيمان الفطري من بين جميع الأشياء الأخرى ويجب أن لا يخلط بغيره، إن عقيدة الثالوث أو الآلهة المتعددة تفسد الاعتقاد في الإله الواحد)

ويقول ماثيو تندال(بأن الإله قد أعطى الإنسان وسائل كافيه لمعرفة ما يريده الإله من البشر ولا توجد حاجة للوحى، ... إن وجود الخالق المعروف بالإله معروف من خلال الطبيعة والعقل ومنذ بداية الخلق فإن البشر يعرفون بوجود الإله وهو أيضاً مصاحب لمعرفة أن الإله أراد الحياة للبشر) [١]

ويقول كاثبيرت مورلاند : (القاعدة الأساسية عند مذهب أصحاب العقل أن لهذا الكون خالق أو إله، ولكن هذا الإله لا يتدخل في الكون) [٢].

ويقول توماس بين وهو يسمي النظر والتفكر في المخلوقات إنجيل الخلق (تلك المعرفة بالأصل الإلهي، إنها من إنجيل الخلق الذى تعلمه الإنسان، وليس من إنجيل الكنيسة الأحمق، الذى لا يعلم الإنسان شيئاً) [٣].

ويقول كولنز عن الله عز وجل: "إنه موجود أبدى وخالد وكامل ولا نهائى وهو حكيم بصورة مطلقة وقوى بصورة خاصة وعادل وبر" يعلم الشخص بأن هذه طبيعة الله ليس فقط من خلال النصوص المقدسة ولكن أيضاً من خلال ملاحظة أجزاء الكون) [٤].

ومن كلامهم عن الكتب:يقول كاثبيرت ويست مورلاند:(ولا يعترف أصحاب مذهب العقل بالكتب المقدسة وإنما يرون أن المعرفة العلمية هي النصوص المقدسة) [٥].

---

(١) طريقي الجديد ، جيمس سولسبي (ص ٦٨) .
(٢) معرفة الله على أساس العقل والطبيعة ورفض الأديان ،كاثبيرت ويست مورلاند (ص ١ - ٢) .
(٣) عصر العقل ، توماس بين (٣/ ١٤٣) .
(٤) الربوبية في عصر التنوير في انجلترا ، جيمس ويجلس وورث (ص:١١٢-١١٣).
(٥) ينظر : معرفة الله على أساس العقل والطبيعة ورفض الأديان ،كاثبيرت ويست مورلاند (ص ٢ - ٣) .

فهذا النوع من الإقرار بالربوبية الذي بقر به الربوبيون هو مشترك إنساني إلا من دسه بالإلحاد والشك والريب.

ومع ذلك فإن الربوبيين ينكرون أمورا مرتبطة بهذا الإقرار بالربوبية تجعل إقرارهم ناقصاً وليس إقرارا كاملا صحيحاً

وكلامهم في حقيقته تقرير للدين الفطري ومتفق بكيفية واضحه مع مذهب مشركي العرب إلا أن هؤلاء لايتدينون بشيئ من الشرك والعبادة للأوثان، بل الذي نفرهم من النصرانية هو الجزء الوثني فيها والجزء الخرافي في معتقداتها

ونحن لانحتاج للرد عليهم تفصيلا لأنهم وإن كانوا طعنوا في الأديان كلها وفي الوحي كله والنبوة كلها والمعجزات كلها ، إلا ان الواقع أنهم يتحدثون عن الواقع الذي يعرفونه والملة التي أنكروها وهي النصرانية ،

ومن لاحظ نقودهم فإنه سيجد أنها لاتتجه إلى الاسلام فإن الموضوعات المنقودة عندهم الاسلام بريء منها كما في موضوع الكتاب والنبوة والعقائد والشرائع .

ومع ذلك فنقول في بطلان قولهم من ناحية عدة مواقف ناقضوا بها ربوبية الله ﷻ التي أقروا بها منها :

١-انكار تصرف الله ﷻ في خلقه قول باطل يقينا فنسألهم أولا من أين لهم أن الله لايتصرف بخلقه ولايدبر أمورهم، وآثار التدبير واضحة في المخلوقات فإن هذا أمر ندركه من أدنى نظر فيما حولنا فهذه الأمطار وهذه الأنهار وهذه الكواكب وكل ما حولنا مماسخر لنا من الذي يسيره ويدبره غير خالقه.

٢-إن إقراركم بأن الله هو الخالق للكون وواضع نظامه يلزمكم أن تقروا بأنه المدبر له والمتصرف فيه وأنه قادر على ذلك مادام أنه خالقه ، فبأي حجة تقولون إنه غير مدبر له ولا

متصرف فيه.ولا يخفى أن كل صانع لشيء من المصنوعات قادر على التصرف فيها بل يجعل نظامها قابلا لتصرفه حتى لاتخرج الأمور عن سيطرته، وهذا يثبت أن الله قادر على مصنوعاته فإذا كان قادرا فمن الذي حال بينه وبين التصرف.

٣-إن انخرام النظام العام الذي نراه بأعيننا مثل الفيضانات والبراكين والزلازل تدل على مدبر خلفها إذ هي ليست حتمية وإلا لتكررت وفق نظام لا يتخلف، لكنا نراها هنا ولا نراها هنا فصار ذلك علامة على مدبر يفعل ما يشاء.

٤- أن كثيرا ما تحدث حوادث نتيجتها الحتمية هلاك جميع من وقعت عليه؛ ومع ذلك فقد نرى ناجين مما يسمى موت محقق ولاشك أن يدا تدخلت في الموضوع فأنقذت هذا وتركت الآخر وليس من يقدر على ذلك إلا الله ﷻ .

٥-أن حوادث الموت التي نسمعها ونعلمها من حوادث البشر منها ما يكون المتوفى في غاية الصحة والعافية والشباب بل بعضهم أثناء مزاولته لنشاط معتاد فإذا به يقع ميتا ويذكر في تقرير وفاته أن توقف قلبه سبب الوفاة، فمن فعل ذلك؟ لاشك أنه انتهاء أجله وليس هذا إلا تدبير من الخالق سبحانه.

٦-أن إقرارهم بالخالق يوجب إقرارهم بأنه مدبر يفعل ويتصرف كما يشاء هو فإذا كان متصرفاً فإن من ضمن تصرفاته أنه يرسل الرسل لتعليم خلقه ما يحب هو سبحانه، وليس لهم جواب عن هذا فما الذي يمنع من ذلك.

٧-إن إقرارهم بربوبية الله عز وجل هو إقرار بنعمه عليهم وأنه ضبط نظام هذا الكون من أجل راحتهم وسعادتهم ومن هذا المنطلق أليس لهذا الرب حقوق وواجبات يجب أن تؤدى له ، بلى إن له واجبات وحقوق، ومن قال إنه ليس له واجبات وحقوق فهذا إنما قال ذلك من قبل نفسه وأمر لايدل عليه عقل ولا شرع لأن العقل يدل على أن من أدى لك نعمة فإنه

يجب شكره ولا يمكن أن نعرف كيف نشكره ونؤدي حقه إلا من خلال الرسل عليهم السلام.

٨-أن الذي خلق الإنسان هو القادر على أن يخبره ويوجهه إلى مايفيده في العاجل والآجل وهو القادر على تشريعماينفعه، فانظر الخمر مشرعة في أكثر دول العالم مع اتفاق الجميع على خطورتها وتأثيرها السلبي على عقل الإنسان وصحته ومع ذلك هي تباع وتشرب في أكثر أماكن العالم ، والله عز وجل قد حرمها لأنه هو الذي يعلم مصلحة ابن آدم وفائدته ، ولا يمكن معرفة شرع الله إلا من خلال الرسل عليهم السلام.

٩-أن الشرع الإلهي عن طريق الرسل يعطي النفوس رقابة ذاتية تتعلق بأداء الواجبات وتجنب المحرمات، فهذا المسلمون لما حرمت الخمر بتشريع إلهي أراقوها وجرت بها سكك المدينة، ولما حرمت الخمر في أمريكا بتشريع بشري زادت الإشكالات والجرائم لذلك، واستمر الناس في شربها بالخفاء حتى ألغي التشريع ولم يمض عليه سوى ١٣ عاما[١].

١٠-المعجزات هي في تأييد الرسل عليهم السلام وانكار الرسالة يتفرع عنه إنكار المعجزات وإثبات الرسل هو جزء من اثبات الربوبيه ومن أفعال الرب تبارك وتعالى، والله قد أراد ذلك وليس من هذا مانع عقلي صحيح، فيلزم الإقرار بها إذا جاءت من طريق صحيح ثابت.

ط-أن المعجزات هي لتأييد الرسل في مقابل المكذبين، وهي دليل على قدرة الله تبارك وتعالى، والربوبيون يقرون بقدرة الله، والله تبارك وتعالى يحب العذر ولا يعاجل بالعقوبة فإذا كذب القوم الرسل أظهر لهم المعجزة تصديقا لنبيه حتى لايكون لأحد عذر غدا أمام الله عز وجل.فليس في ذلك مانع عقلي بل هي دليل على رحمة الله بعباده ولطفه بهم.

١١-أن الكون من حولنا مليء بالمعجزات وكلها دليل على عظيم قدرة الله عز وجل وإنما لم ننتبه لها بسبب الإلف والتعود وإلا فكيف يتكون الجنين في بطن أمه ويخرج إنساناً سويا من

---

(١) ينظر: حضر الكحوليات في الولايات المتحدهhttps://ar.wikipedia.org/wiki/

ماء مهين وكيف تسبح الأسماك في الماء وتتنفس من خلال الماء وترتزق فيه، وكيف تتكون السحب التي لاوزن لها وينزل منها الماء الذي قد يدمر ويسقط البيوت العاليه ويجرف الصخور الضخمة، فهذه كلها آيات ومعجزات لكننا لا ننتبه لها بسبب الإلف لها، فعليه ليس هناك مبرر لأن ينكر الربوبيون المعجزات فالكل داخل في قدرة الله عز وجل وقد أراد ذلك فليس من ذلك مانع البتة.

ولعل في هذا كفاية في الرد عليهم من الناحية العقلية أما النصوص الشرعية المثبتة للمعجزات فالقرآن مليء بذلك.

وبه ينتهي الكلام عن الربوبيين الذين يثبتون شيئا من المعاني المتعلقة بالربوبية ويجحدون أشياء أخرى ما كان لهم أن يجحدوها لأنها تعود بالإبطال لصحة ما أقروا به.

وبه ينتهي الكلام عن منهج المقدمات والربوبية وصلى الله على نبيه مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.